سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية

٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٥ م

د . أحلام حسن مصطفى النقيب




م. سرمد حاتم شكر


وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد - ٢٠٠٠

(سلسلة رسائل جامعية)

سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية

٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٢٥ م

تأليف

د . احلام حسن مصطفى النقيب

الطبعة الأولى ـ بغداد ـ

٢٠٠٠

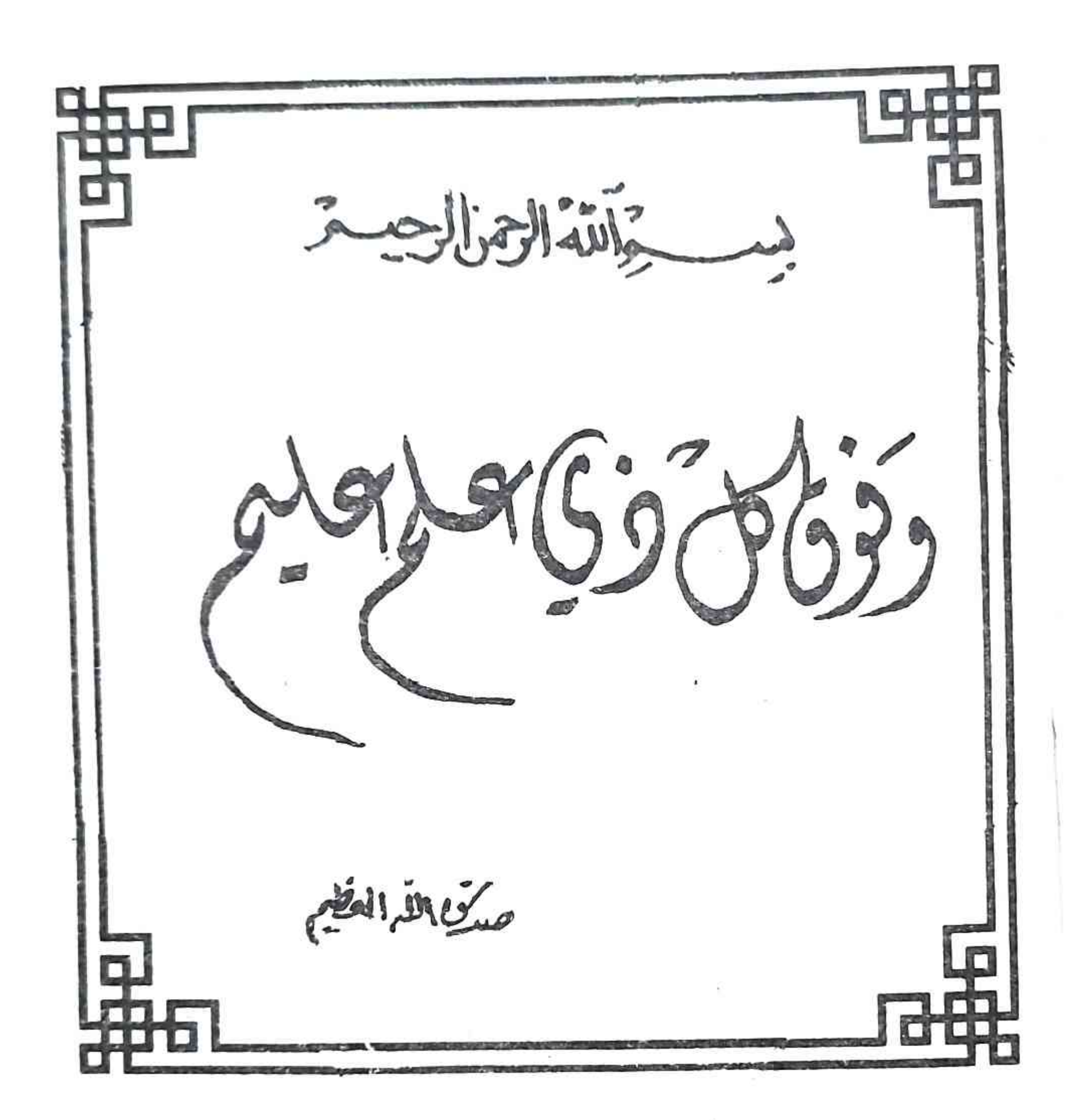
٩٢٣,٢
ن ٧٩٢

النقيب ، أحلام حسن مصطفى
سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ٥٧٥ -
٦٢٢هـ / ١١٧٩ - ١٥٥٢ م / بغداد : دار الشؤون الثقافية
العامة ، ١٩٩٩ .
ص ؛ ٢٤ سم : - (سلسلة رسائل جامعية) ١ - الناصر
لدين الله (٥٧٥) - ٦٢٢هـ)
(طليعة أ. العنوان ب . السلسلة

م . و
١٩٩٩ / ٣٢٦

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٢٦ لسنة ١٩٩٩ .


بسم الله الرحمن الرحيم
وفوق كل ذي علم عليم
صدق الله العظيم


طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

العنوان:
العراق - بغداد - اعظمية
ص. ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

السيـــرة و الشخصيـــة

١ – الاسم والكنية
٢ – النسب والولادة
٣ – ولاية العهد
٤ – أم الخليفة الناصر
٥ – البيعة
٦ – صفاته وأوصافه
٧ – سيرته وشخصيته
٨ – زوجة الخليفة الناصر لدين الله
٩ – أولاد الخليفة وولاية العهد
١٠ – مرض الخليفة الناصر ووفاته

النسب والولادة :

هو الناصر لدين الله ابو العباس احمد ابن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي عبد الله بن المستظهر بالله أبي العباس بن المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله ابي العباس محمد بن المقتدي بأمر الله ابي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابي العباس احمد بن الموفق ابي احمد محمد بن جعفر المتوكل على الله[1] بن المعتصم بالله ابي أسحق محمد ابن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنهم)[2] .

نسب كان عليه من شمس الضحى
نوراً ومن الق الصباح عموداً

وتختلف الروايات التاريخية بذكر ولادة ابي العباس احمد الناصر لدين الله ابن

---

(١) لم يكن الموفق خليفة وانما كان ولي عهد اخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد بالله ولي عهد المعتمد على الله .

ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٣٨ .

(٢) م . ن

انظر : ابن دحية ، النبراس ، ص ١٦٤ .

ـ الحافظ ابي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد ابن الدبيثي ، ت ٦٣٧ هـ ، المختصر المحتاج اليه ، جـ ١ ، بغداد ص ٣٤ .

ـ ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١١٠ .

ـ عماد الدين اسماعيل ابي الفدا ، ت ٧٣٢ هـ ، المختصر في اخبار البشر ، جـ ٣ ، مصر ، طـ ١ ، ص ١٣٥ .

ـ محمد بن تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، القاهرة ، ص ٤ .

ـ ابي الحسين محمد بن احمد بن جبير ، الرحلة ، بغداد ـ ١٣٥٦ هـ / ١٩٥٧ م ، ص ١٨١ .

ـ حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري ، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ، مج ـ١ ـ ٢ ، بيروت ، ص ٣٦٩ .

ـ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، ت ١١١١ م ، سمط النجوم السوالي في انباء الاوائل والتوالي ، جـ ٣ ، القاهرة ، ص ٣٧٨ .

الحسن المستضيء بامر الله في رجب سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م في خلافة جد ابيه المقتفي لامر الله[٣] . في حين يحددها المقريزي[٤] في العاشر من شهر رجب من سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م . اما السيوطي[٥] فيبدو اكثر دقة حين ذكر ان ولادة احمد الناصر لدين الله كانت يوم الاثنين العاشر من رجب سنة ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م ، بينما يدعي الاربلي[٦] ان يوم الولادة هو الثلاثاء العاشر من رجب وليس غيره .

وخطب له ابوه بولاية العهد قبل موته بثمانية ايام وذلك في غرة سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م[٧] .

وكانت ام الناصر ام ولد تركية ، اسمها زمرد خاتون[٨] جلبها الجلابون من بلاد

---

(٣) شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي الشهير بسبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، طـ ١ ، ص ٦٣٥ .

انظر : ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، بيروت ـ ١٩٦٦ ، طـ ١ ، ص ١٠٦ . ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٢٤ .

(٤) تقي الدين احمد بن علي المعروف بالمقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م ، ص ٢١٧ .

(٥) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٨ .

(٦) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٠ .

انظر : ـ صلاح الدين خليل الصفدي ، نكت الهميان في نكت العميان ، مصر ، ١٣٢٦ هـ / ١٩١١ م ، ص ٩٣ .

ـ الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٢ .

ـ القرماني ، اخبار الدول ، ص ١٧٨ .

ـ الاب انستاس ماري الكرملي ، خلاصة تاريخ العراق ، البصرة ـ ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م ، ص ١٢١ .

(٧) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٢٤ .

انظر : ـ ابن دحية ، النبراس ، ص ١٦٥ .

ـ سبط ابن الجوزي ـ مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٦٣٥ .

ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٠٦ .

(٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٣٩ .

انظر : ـ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٨ .

ـ ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج ، ص ٢٦٢ .

ـ الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٠ .

←

الترك الشرقية ، الى ان استقر بها المقام في دار الخلافة ، اذ اصبحت جارية الخليفة المستضيء بامر الله ، ثم اعتقها وتزوجها ، وكانت اثيرة عند الخليفة المستضيء لا سيما بعد ان ولدت له ابناً سنة ٥٥٣ هـ / ١١٧٨ م سماه احمد وكناه بابي العباس[٩] ، وقد عاشت في خلافة ابنها اربعاً وعشرين سنة[١٠] ، وكانت راغبة في الخير والصدقة وافعال البر ولها من الصدقات والوقوف ببغداد وغيرها شيء كثير[١١] .

قال سبط ابن الجوزي[١٢] حجت وانفقت ٣٠٠ الف دينار على ما بلغني ، وكان معها نحو الفي جمل وتصدقت على اهل الحرمين ، واصلحت البرك والمصانع ، وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخي ، والمدرسة الى جانبها ، واوقفت عليها الاوقاف .

ووصفها احد الباحثين بانها من سيدات دار الخلافة العباسية ببغداد ، وهي ام خليفة ، وزوجة خليفة من خلفائهم ، وتعرف اليوم قبة قبرها بقبة الست زبيدة

← ـ (إبن تغري بردي) ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، مصر ، ص ١٨٢ .
ـ الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٢ .
ـ ابن ابي عنيه ، مخطوط انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، ورقة ٢٢٦ .
ـ القرماني ، اخبار الدول ، ص ١٧٨ .
ـ محمد الخضري ، تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية) ، مج ١ ـ٢ ، مصر ، ص ٤٦٦ .
(٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٤ .
انظر : ـ الحسيني ، زبدة التواريخ في اخبار الامراء والملوك السلجوقية ، ورقة ٩٦ ب .
ـ مصطفى جواد ، سيدات البلاط العباسي ، بيروت ، ١٩٥٠ م ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .
(١٠) ابن ابي عنيبة ، انسان العيون ، ورقة ٢٢٦ .
انظر : ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج ، جـ ٣ ، ص ٢٦٢ .
الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٢ .
ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٣٦ .
(١١) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٥ .
انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٨٢ .
الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٠ .
(١٢) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٥١٣ .
انظر . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٨٢ .
انستاس الكرملي ، خلاصة تاريخ العراق ، ص ١٢١ .

(خطأ) عند مدفن الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد[١٣] .

وفي جمادي الاولى من سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م توفيت زمرد خاتون ، وحزن عليها ابنها الخليفة الناصر لدين الله حزناً شديداً ، وفعل في حقها ما لم يفعله احد ، وصلى هو عليها في صحن السلام ، ومشى بين يدى تابوتها الى دجلة من ناحية قصر التاج ، وامر الخليفة ان يمشي الناس من دجلة الى تربتها المجاورة لمعروف الكرخي ، على الرغم من بعد المسافة ، وعمل العزاء شهراً كاملًا ، وانشدت المراثي ، وختمت الختمات ، والزم ارباب الدولة بضرورة لبس ثياب العزاء البيضاء سنة كاملة ، وهذا امر لم يعمل مثله لاحد[١٤] ، وامر الخليفة ان يتصدق بجميع ما خلفته ، من ذهب وفضة ، وجواهر ، وثياب على جواريها وذوي الحاجة ، ومماليكها ، فقسم بينهم ، وحمل ما في خزائنها من الاشربة والعقاقير الى المارستان العضدي ، وكان يساوي الوفا ، وحزن عليها اهل بغداد حزناً عظيماً لانها كانت محسنة الى الناس[١٥] . فلا غرو ان لبس الكثير ثياب العزاء[١٦] .

البيعة :

بويع الناصر لدين الله بالخلافة في اليوم الثالث من وفاة ابيه[١٧] . ويقول البنداري[١٨] ان البيعة كانت صبيحة ليلة الوفاة وذلك مستهل ذي القعدة ، في حين

---

(١٣) مصطفى جواد ، سيدات البلاط ، ص ١٧٤ .

(١٤) ابن الاثير في حوادث سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م الكامل حـ ١٢ / ١٨٤

انظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، جـ ٩ ، بغداد ــ ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م ، ص ١٠٢ .

ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٨٢ .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، هامش ص ٢٤٢ .

مصطفى جواد ، ن م ، ص ص ١٧٦ ــ ١٧٧ .

(١٥) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٥١٣ .

(١٦) ابن ابي عذيبة ، انسان العيون ، ورقة ٢٢٧ .

(١٧) ابن ابي عذيبة ، انسان العيون ، ورقة ٢ .

(١٨) قوام الدين الفتح بن علي ت ٦٤٢ هـ ، سنا البرق الشامي ، ق ١ ، بيروت ــ ١٩٧١ ، طـ ١ ، ص ٣٤٢ .

ــ جاء في نكت الهميان للصفدي ، ص ٩٣ ان البيعة كانت في اول ذي القعدة سنة ←

ذكر العصامي المكي[19] انه بويع وله من العمر ثلاث وعشرون سنة .

وكان ابوه المستضيء قد تخوفه فاعتقله ومال الى اخيه ابي منصور هاشم[20]فقالت له زوجته بنفشه : الله الله تعدل عن ابي العباس[21] . فكان ابن

← ٥٧٥ هـ/ هـ/ ١١٧٩ م .

ــ الدياربكري ، تاريخ الخميس ، مج ١ ــ ٢ ، ص ٣٦٧ .

ــ العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ١٣٥١ هـ ، ص ٩٧ .

ــ جاء في مرآة الزمان ، سبط ابن الجوزي ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٤ ان البيعة كانت في ثاني ذي القعدة سنة ٥٧٥ هـ والموافق ٣٠ مارت سنة ١١٨٠

ــ ابن دحية ، النبراس ، ص ١٦٥ .

محمد الخضري ، تاريخ الامم الاسلامية ، جـ ١ ــ ٢ ، ص ٤٦٦ .

ــ جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٤٤٨ ان البيعة كانت في مستهل ذي القعدة سنة ٥٧٥ هـ .

ــ الاب ماري الكرملي ، خلاصة تاريخ العراق ، ص ١٢١ .

محمد اسعد طلس ، تاريخ العرب ، مج ٢ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، طـ٢ ، ص ١٤٨ .

ــ جاء في مصادر اخرى ان الناصر بويع للخلافة سنة ٥٧٥ هـ فقط ، ابو عبد الله شمس الدين الذهبي ، ت ٧٤٨ هـ . العبر في خبر من غبر ، جـ ٤ ، الكويت ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢٢ .

انظر : ــ دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٨٨ .

ــ اخبار الدولة العباسية ، مؤلف مجهول ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٤١٤ .

ــ القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ ٢ ، ص ٥٦ .

ــ خير الدين العمري ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ، جـ ١ ، بغداد ، ١٩٦٨ م ، ص ١٥٨ .

ــ احمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة ، جـ ١ ، مصر ، ص ٨ .

(١٩) سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٣٧٨ .

العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٩٧ .

(٢٠) الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .

في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ضيق عليه ، جـ ٦ ، ص ٧٦ .

(٢١) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٤ .

العطار صاحب المخزن[٢٢] ومجد الدين ابن الصاحب استاذ الدار[٢٣] واكثر رجال الدولة مع ابي منصور[٢٤] ونفر يسير مع الناصر[٢٥] . وبعد وفاة امير المؤمنين المستضيء بأمر الله بادر ظهير الدين ابن العطار في اخذ البيعة لولده الناصر لدين الله امير المؤمنين[٢٦] على الرغم منه لانه كان يميل الى اخيه ابي منصور هاشم خائفاً من ابي العباس[٢٧] . فكان اول من بايعه اخوه الامير ابو منصور هاشم ، ثم الامراء من الاسرة العباسية ، وتبعهم الخواص ، والمماليك ، والوجهاء ، وارباب المناصب من القضاة والولاة ، والفقهاء ، واعيان الناس[٢٨] وفي يوم الاثنين ثاني ذي القعدة جلس الناصر في موضع شباك دار الملك المشرف على بستان قصر التاج لمبايعة من ورد من وجوه اهل الشام وغيرها[٢٩] .

وفي هذا اليوم (يوم البيعة) برز المرسوم الشريف بقيام ارباب الدولة من عزاء الخليفة المستضيء فانهم كانوا قد قعدوا لذلك بباب النوبة ثلاثة أيام وتكلم فيها الوعاظ وانشد فيها الشعراء وعادوا الى دواوينهم واشغالهم وبويع له البيعة العامة

---

(٢٢) صاحب المخزن ، لفظ يطلق على موظفي المخزن وهو في الاصل تابع لديوان بيت المال ولصاحب المخزن دار خاصة به تقع بالديوان .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .

عبد الله بن محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، مصر ، ١٣٤٢ ، ص ٤١ .

(٢٣) استاذ الدار وظيفة يتولى صاحبها شؤون دار الخليفة ونفقاتها وامور الاسرة العباسية المقصورة في دار الخلافة كاخوان الخليفة واعمامه وابناء اعمامه .

مقدمة مصطفى جواد لكتاب الجامع المختصر ، لابن الساعي ، جـ ٩ ، ص يب .

(٢٤) ابو منصور هاشم بن المستضيء واخو الامام الناصر لابن الله كان شاباً ديناً اشار ابن العطار بتوليته الخلافة فلن يتم نلك فتوفي في شعبان ودفن عند ابيه المستضيء . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٣ .

(٢٥) الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .

(٢٦) ابن الاثير ، الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل ، القاهرة ، ص ١٧٩ .

انظر : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١١ ، ص ٤٥٩ .

(٢٧) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢٨) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٠ .

ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢٩) ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

يوم الاحد ثاني ذي القعدة[٣٠] وكان ضياء الدين الشهرزوري[٣١] حاضراً[٣٢] فاتفق ذلك اوان وصوله برسالة الناصر صلاح الدين الايوبي وخطب له بمدينة السلام ، ونثرت الدنانير على المنابر بجوامعها وسيرت الكتب مع الرسل الى البلاد الاسلامية[٣٣] لاخذ البيعة[٣٤] . ومن حسن طالع الخليفة الناصر لدين الله ، انه في اعقاب بيعته كشف ما كان الناس فيه من اثر جدب أضرّ بهم واذهب موجودهم ، ووباء أتى على اكثرهم وافنى عامتهم فزال ببركة خلافته عنهم البؤس والياس ، وعاد الناس الى صحة وخصب ، بعد القنوط والياس ، فقال ابو جعفر يحيى بن محمد العلوي يمدحه وانشد فيه[٣٥]

وليت وعام الناس احمر ماحلٌ
فجدت وجاد الغيث فانقشع المحل
وكم لك من نعماء ليس بمدرك
لها حاسب الا اذا حسب الرمل

وفي سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م قبض على استاذ الدار ابي الفضل ابن الصاحب وقتله لانه حاول الاستحواذ على امور الدولة واخذ اموالًا عظيمة ، وكان الساعي فيه عند الخليفة الناصر لدين الله ، عبيد الله بن يونس من اصحابه وصنائعه فلم يزل يسعى فيه عند الناصر لدين الله حتى امر بقتله[٣٦] ، فقتل بدار الخلافة وترك اموالًا كثيرة ، فمن الذهب العين الف الف دينار وثلاثون الف دينار وكان ظالماً سفاكاً للدماء[٣٧] .

---

(٣٠) ابن دحية ، النبراس ، ص ١٦٥ .

(٣١) هو ابو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله وكان صلاح الدين الايوبي قد رتبه للرسالة بينه وبين الخليفة لقربه من قلب الخليفة وقد مات سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٨٣ .

(٣٢) البنداري ، سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٣٤٣ .

(٣٣) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٥ .

(٣٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١١ ، ص ٤٦٠ .

(٣٥) ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج ، جـ ١ ، ص ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٣٦) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ و الخبر ، مج ٣ ، ق ١ ، لبنان ، ١٩٧٧ ص ص ١٠٨٩ ـ ١٠٩٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل جـ ١١ ، ص ٥٦٢ .

(٣٧) زين الدين عمر بن الوردي . تاريخ ابن الوردي ، جـ ٢ ، ص ص ٩٨ ـ ٩٩ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ص ٩٢ ـ ٩٣ .

اقام الخليفة الناصر لدين الله الدعوة في بغداد والثغور والشام والديار المصرية وحضر شعراء الديوان العزيز[38] على جارى العادة لتهنئته عند جلوسه في الخلافة في ذي القعدة فانشد كل منهم كلمته ومنهم محمد بن عبد الله سبط التعاويذي[39] وكان من افاضل الشعراء المتقدمين ومن شعره[40] :

طاف يسعى بها على الجلاس
كقضيب الاراكة المياس
ولقد زينت الخلافة منهم
بامام الهدى ابي العباس
بث في الارض رأفة بدلت
وحشة سارى الظلام بالايناس

كما مدح الخليفة الناصر لدين الله الشاعر المعروف ابن المقرب[41] قال :

هو الناصر بن المستضيء وقدحه
المعلى وما في عودة الصلب قادح
امامته الحق اليقين وغيرها
اذا ما استبينت ترهات صحاصح
خليفة صدق من سلالة معشر
نجابهم نوح وهود وصالح

ان هذه الابيات وغيرها تعطينا صورة واضحة عن موقف الناس عامة والشعراء

---

(٣٨) الديوان العزيز = اي ديوان الخلافة .
شهاب الدين احمد النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرى هامش ، ص ٥٠ .
(٣٩) هو ابو الفتح محمد بن عبيد الله ويعرف ايضاً بسبط التعاويذي لانه يوجد سبط تعاويذي اخر من اجداده لامه اسمه المبارك بن المبارك نسب اليه لانه كفله صغيراً فنشا في حجره ، كان شاعر وقته عمي في آخر عمره وله في عماه اشعار يرثي بها عينيه ويندب شبابه ، جمع ديوانه بنفسه قبل العمى ورتبه على اربعة فصول ، وله قصائد في المديح ايضاً توفي سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م .
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٠٥ .
انظر : جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، جـ ٣ ، ص ص ٢٣ ــ ٢٤ .
خير الدين الزركلي ، الاعلام ، جـ ٧ ، ص ١٤١ .
(٤٠) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٦ .
(٤١) ديوان ابن المقرب ، ١٩٦٣ م ، ص ١٢٠ ــ ١٢٩

خاصة من خلافة الناصر لدين الله الذي نُقش على خاتمه (رَجائي من الله عفوه)[٤٢] .

صفاته واوصافه :

ذكر ابن جبير عندما زار بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ أنه قد ابصر الخليفة الناصر بأم عينيه قال : ابصرنا هذا الخليفة وهو في فتاء من سنه اشقر اللحية صفيرها كما اجتمع بها وجهه حسن الشكل جميل المنظر ، ابيض اللون ، معتدل القامة ، رائق الرواء ، سنه نحو خمس وعشرين سنة ، لابساً ثوباً ابيض شبه القباء برسوم ذهب فيه وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر اسود من الاوبار الغالية القيمة المتخذة للباس الملوك مما هو كالفنك .[٤٣] وكان مليح العينين اقنى الانف رقيق المحاسن خفيف العارضين[٤٤] انور الجبهة[٤٥] فيه دهاء وفطنة وتيقظ[٤٦] وشهامة واقدام[٤٧] ، فكان رجلًا ذا حصانة[٤٨] مهيباً شجاعاً[٤٩] في الحروب عطاؤه كسيل البحر[٥٠] اذا اطعم اشبع ، واذا ضرب اوجع ، وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر ، وفي الوقت نفسه كان سياسياً عادلًا ، حاذقاً بليغاً ، عاقلًا

---

(٤٢) الكازروني ، مختصر التاريخ ص ٢٤٣

انظر : الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٠ .

(٤٣) الرحلة ، ص ١٨٢ / واظن في اول النص خطأ في كلمة وجهه التي لعل صوابها وجه .

(٤٤) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٣ .

انظر : العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٣٧٩ .

(٤٥) الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .

انظر : الديار بكري ، تاريخ الخميس ، مج ١ ــ٢ ، ص ٣٦٧ .

(٤٦) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

(٤٧) العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٩٧ .

انظر : اليافعي المكي ، مرآة الجنان ، جـ ٤ ، ص ٥٠ .

العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، جـ ٣ ، ص ٣٧٨ .

(٤٨) عباس قمي ، تتمة المنتهى ، ص ٣٥٩ .

(٤٩) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٠٥ .

(٥٠) ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١١٠ .

مدبراً[٥١] ، واديباً عالماً ضابطاً لدولته[٥٢] .

ويعد الخليفة الناصر لدين الله اقوى الخلفاء منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[٥٣] فهو من اكثر متاخريهم عمارة وسعادة وسياسة[٥٤] فكانت خلافته ٤٧ سنة[٥٥] . وكان مستقلاً بامور الملك في العراق متمكناً من الخلافة يتولى الامور بنفسه[٥٦] قال احد الباحثين « الناصر لدين الله اعظم سياسي عباسي ، واحسن بني العباس اضطلاعاً بامور الخلافة ، فقد وسع مملكته توسيعاً لا يبلغه الا ذو همة حاسمة وطموح عظيم »[٥٧] . ففي عهده بلغت الخلافة العباسية في عصورها الاخيرة قمة مجدها من النفوذ والقوة[٥٨] .

السيرة والشخصية

تتواتر الروايات التاريخية في ان الناصر لدين الدين كان حسن الخلق لطيف الخلق ، كامل الظرف ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، له التوقيعات المسددة ، والكلمات المؤيدة[٥٩] . فملأ القلوب هيبة وخيفة فكان يرهبه اهل الهند والشام ومصر

---

(٥١) محمد اسعد طلس ، تاريخ العرب ، مج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٥٢) ابن ابي السرور ، بلغة الظرفاء ، ص ٦٨ .

(٥٣) السيد الباز العريني ، المغول ، ص ٧٧ .

(٥٤) مصطفى جواد ، القصر العباسي (دار المسناة) ، مجلة سومر ، جـ ٢ ، ص ٧٠ ، عدد تموز / ١٩٤٥ .

(٥٥) الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ ، ابن ابي السرور بلغة الظرفاء ، ص ٦٨ .
— انظر : ارجوزة نظم في الخلفاء والسلاطين العباسيين .
ابو محمد اسماعيل ابن علي بن اسماعيل الخطبي ، ورقة ٤٤ مخطوطة برقم ١٣٣٤ ، ق ٢ ، المجمع العلمي العراقي .
— الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، العمري ، غاية المرام ص ١٥٨ .

(٥٦) العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٩٨ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، جـ ٤ ص ٥٠ .

(٥٧) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب الجامع المختصر لابن الساعي ، جـ ٩ ، ص ب .

(٥٨) حسين امين ، تاريخ العراق ، ص ١٦٦ .

(٥٩) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ص ٤٥٠ — ٤٥١ . ←

كما رهبه اهل بغداد ، فاحيا هيبة الخلافة ، وكانت قد ماتت منذ عهد المعتصم والمعتضد بالله ، ثم ماتت بموته(٦٠) .

ويروى السيوطي(٦١) : ان الملوك والاكابر في مصر والشام اذا جرى ذكر الخليفة الناصر لدين الله في خلواتهم خفضوا اصواتهم هيبة واجلالا . فلا غرو ان لقي الخليفة الناصر لدين الله الاحترام والتبجيل من الامراء المسلمين ، فكلما احرزوا انتصارات بعثوا اليه بالبشارة ، وهو من دوره كان يرسل اليهم بعض الدعم والمساعدة(٦٢) . وهكذا كان الخليفة الناصر لدين الله موضع اعتزاز ومهابة حتى وفاته ، قال ابن الدبيثي : « ولم تزل الرعية في ظله وانعامه يرجعون الى اوفى أمن ، واوفر فضل ، واكمل من ، واوسع معيشة ، وارضى حياة وعيشة ، يعمهم العدل ويشملهم الفضل وتغمرهم الصدقات ، وتغنيهم الصلات ، وعمر المساجد وجدد المشاهد وانشأ الاربطة والمدارس واحيا من الخيرات كل رسم دارس فالخلق في انعامه راتعون وله بدوام الملك وطول الحياة داعون والله تعالى يستجيب فيه دعاءهم ويحرس من الغير شريف سدته ويحبه ما احب الحياة انه جواد كريم .(٦٣)

وكان مولعاً بالصيد ، حيث كثيراً ما كان يرى راكباً زورقاً في نهر دجلة يصيد ، وفي احيان اخرى يتصيد في البرية . كما كان يحب الظهور للعامة « ويؤثر التحبب لهم وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بايامه رخاء وعدلًا وطيب عيش فالكبير

← انظر : ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ص ٥ ـــ ٦ .
العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٩٧ .
القرماني ، اخبار الدول ، ص ١٧٨ .

(٦٠) ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١١١ .
انظر : ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ٦ .
ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٢٤ .
العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٩٨ .

(٦١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٥٠ .
انظر : القرماني ، اخبار الدول ، ص ١٧٨ ، ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٢٤ ، ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١١١ ، عباس قمي ، تتمة المنتهى ، ص ٣٦٠ .

(٦٢) السيد الباز العريني ، المغول ، ص ٧٨ .

(٦٣) المختصر المحتاج اليه ، جـ ١ ، ص ٣٦ من المستدرك .
انظر : الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .

والصفير منهم داع له »[٦٤] .

ويصور لنا (ابن دحية) جانباً من سيرة الخليفة الناصر لدين الله وهو شاهد عيان حيث قال : « واخذ (الناصر) الامر حقاً وقوة وفتح البلاد طاعة وعنوة وطبقت دعوته جميع الافاق وطلعت شمس حكمته باهرة الاشراق واوقع بوزراء السوء على الاطلاق وقام بما عليه من العهد والميثاق » . حتى قال في وصفه :

ترتاح اندية الندى والباس
من ذكر مولانا ابي العباس
نجل الخلائق وابن عم محمد
خير البرية من جميع الناس[٦٥]

ويبدو أن دست الحكم حتم عليه ان تكون له حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع قل ان يفطن لها احد ، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون[٦٦] .

وينفرد ابن الاثير[٦٧] بقدحه ، ويتهمه بانه خرب العراق ، واخذ اموال اهله واملاكهم . الا انني لم اجد من خلال مراجعتي للمصادر من ظلمه للرعية سوى رفعه للضرائب وما احدثه من الرسوم وهذا امر ربما اقتضته الضرورة فيلجأ اليه كثير من الحكام والخلفاء . وقد وصف الناصر بانه جواد كثير البر والصدقات فكيف يكون عسوفاً ظالماً للرعية ؟[٦٨] .

ورأى ابن الاثير الآنف الذكر يناقض رأى ابن الطقطقي[٦٩] حين قال : « وكان

---

(٦٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨١ .
انظر : الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١١٩ .
(٦٥) ابن دحية ، النبراس ، ص ص ١٦٥ — ١٦٦ .
انظر : ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٢٥ .
(٦٦) السيوطي ، تاريخ ، ص ٤٤٩ .
انظر : الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .
ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ٨ .
(٦٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٤٠ .
(٦٨) راجع ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ، جـ ١ ، ص ٣٦ من المستدرك .
(٦٩) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، بيروت — ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٣٢٢ .

للناصر من المبار والوقوف ما يفوت الحصر ، وبنى من دور الضيافات والمساجد والربط ما يتجاوز حد الكثرة ، وكان وقته مصروفاً الى تدبير امور الدولة » .

زوجة الخليفة سلجوقة(٧٠) خاتون

مرت سلجوقة خاتون بنت السلطان قلج ارسلان ببغداد عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م في طريقها لاداء فريضة الحج(٧١) . ولما عادت الى بلدها توفي زوجها نور الدين بن محمد بن قرا ارسلان سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م الامر الذي دفع الخليفة الناصر لدين الله الى ان يرسل من يخطبها الى ابيها فكان ذلك تشريفاً له ولابنته سلجوقة خاتون فزوجت من الخليفة واحضرت الى بغداد سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م ودخلت في عصمة الخليفة(٧٢) .

ويبدو ان الزوجة سلجوقة صادفت من الخليفة قبولًا عظيماً ، فاغدق عليها الجواهر الثمينة ، والهبات الجزيلة . فاقامت عنده مدة يسيرة في ارغد عيش ، واصفاه ، ثم عاجلها ريب المنون فاستلبت من غضارتها ونعيمها ووجد الناصر لدين الله من الحزن عليها والاسف على فراقها(٧٣) .

وكانت قد اختارت ان تنشيء تربة(٧٤) بالجانب الغربي في مشرعة الكرخ لتدفن فيها اذا ماتت ، فأمرت ببنائها فلم يصعد بناء حيطانها قامة حتى ادركها اجلها فدفنت(٧٥) فيها وتمم بناؤها ووقفت فيها خزانة من الكتب النفيسة تعار لمن طلبها بالرهن ، وانشأ الخليفة الناصر لدين الله الى جانب تربتها رباطاً ، بديع البناء ، واسع الفناء ، ووقفه على الصوفية ، وامر ان يحج عنها في كل سنة ، ويخرج من الصدقات في طريق مكة شيء كثير من المال والزاد والكسوة .(٧٦)

---

(٧٠) تعرف بالاخلاطية والخلاطية .

الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٣ .

(٧١) ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ١١٦ .

(٧٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢٦ .

(٧٣) ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ص ١١٦ ـ ١١٨ .

(٧٤) التربة = المقبرة .

(٧٥) قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٨٤ هـ من الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٢٦ « وبنى الناصر على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة » .

(٧٦) ابن الساعي ، نساء الخلفاء ، ص ص ١١٦ ـ ١١٨ .

اولاد الخليفة وولاية العهد

وهم أبو نصر (منصور) محمد ، وكان قد بايع له ابوه بولاية العهد وكتب بها الى الافاق وخطب له بها مع ابيه على سائر المنابر[٧٧] ثم عزله ورشح اخاه ابا الحسن عليا للخلافة بعده وكان شاباً سمحاً ، مائلًا الى الدين ، كتب بخطه مصحفاً ووقفه بمشهد موسى ابن جعفر عليه السلام ، وكان مقرباً عند والده ، محبوباً اليه ، وأذن له بالركوب ، واقطعه الحديثة[٧٨] وغيرها [٧٩] ، وولدت للخليفة الناصر لدين الله

(٧٧) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٣ .
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٢ .
الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٨ .
عماد الدين الاصفهاني ، الفيح القسي في الفتح القدسي ، ليدن ــ ١٨٨٧ م ، ص ١٧٠ .

(٧٨) الحديثة : كورة من كور الموصل قال اليعقوبي : الحديثة مدينة عامرة آهلة على شاطيء دجلة لها فرض وأسواق ولها عمارات وقرى ، ولها غلات واسعة وخصب وهي شرق دجلة وبها مصب نهر الزاب الكبير ومنها الى الموصل مرحلة وكان محمد بن مروان بن الحكم لما ولي الجزيرة ايام عبد الملك بن مروان بناها وصير فيها جنداً ونقل اليها قوماً من العرب من البصرة وغيرها والازد واكثرهم وكان بناؤها سنة ٧٢ هـ ولما اختط هرثمه الموصل واسكنها العرب اتى الحديثة وكانت قرية فيها بيعتان وابيات للنصارى فمصرها وأسكنها قوماً من العرب فسميت الحديثة لانها بعد الموصل ، وسميت الحديثة حين تحول اليها من تحول من أهل الانبار وكان فيها قوم من اهل الحديثة التي بالانبار فبنوا فيها مسجداً وسموا المدينة الحديثة وينسب الى هذه الحديثة جماعة منهم ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن بابويه السمنجاني الفقيه .
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ .
انظر : محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

(٧٩) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٨ .
انظر : ــ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ ٢ ، استانبول ــ ١٩٤٩ ، ص ٩٥ .
ــ المقريزي ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .
ــ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٢ .
ــ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج ٥ ، جـ ١ ، بصرة ــ ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م . ص ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .

بنت من سلجوقة لكنها توفيت فلم تسم[٨٠] ، وكان ابو طالب الكرخي صاحب ابن الخل واسمه المبارك بن المبارك بن المبارك شيخ الشافعية في وقته ببغداد ومؤدب اولاد الخليفة الناصر لدين الله[٨١] .

وتشير رواياتنا التاريخية انه في سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٥ م في يوم الجمعة رابع عشر جمادي الاخرة قطعت خطبة ولي العهد ، واظهر خط قرىء بدار الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي الرازي ، واذا هو خط ولي العهد الامير ابي نصر ابن الخليفة موجه الى ابيه الناصر لدين الله امير المؤمنين ، يتضمن العجز عن القيام بولاية العهد ، ويطلب الاقالة . وشهد عدلان انه خطه وان الخليفة اقاله وعمل بذلك محضر شهد فيه القضاة والعدول والفقهاء[٨٢] .

وفي رواية اخرى انه نقل الى الخليفة ان ولي العهد قد عزم على قتله فعزله[٨٣] وحبسه[٨٤] وضيق عليه وجرى له معه عدة اقوال[٨٥] ونسب الى الخليفة الناصر قوله[٨٦] :

بليت حتى بأدنى الناس من جلدي
يريد موتي وبالارواح افديه

الا ان الاقدار تعجل بميتة ولي العهد الجديد . ففي العشرين من ذي القعدة سنة ٦١٢ هـ/ ١٢١٦ م توفي ولد الخليفة ابو الحسن علي الذي كان يلقب بالملك المعظم وكان احب ولدي الخليفة اليه وبذلك قدمه لولاية العهد بعده وعزل

---

(٨٠) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٣ .

(٨١) الذهبي ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٨٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ص ٢٠٥ ـــ ٢٠٦ .

انظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١٤٤ احداث سنة ٦٠١ هـ سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٢٢ .

الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ . ابن الفرات ، تاريخ ، مج ٥ ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

(٨٣) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٣٢ .

(٨٤) حبسه في دار مبيضة الارجاء ليس فيها لون غير البياض فضعف بصره حتى كاد يعمى نتحيل ابن الناقد الذي صار وزيراً بعد ذلك فدخل عليه ومعه سروال اخضر فترك السروال في المستراح وفطن الظاهر لذلك فاخذه ولبسه حتى تراجع بصره .

الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ ٢ ، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م ، طـ ٢ ، ص ص ٩٥ ـــ ٩٧ .

(٨٥) الحموي ، التاريخ المنصوري ، ورقة ١٣٢ أ .

(٨٦) محمد بن شاكر احمد الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، مصر ، ١٩٥١ ، ص ٦٢ .

ولده الاكبر .

وتشير النصوص الى ان الخليفة حزن على ولي عهده حزناً شديداً وشارك في تشييعه الى مثواه الاخير حيث دفن على مقربة من قبر الشيخ معروف الكرخي وارسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يعزيه بولده ، ولم يقرأ كتاباً ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه برهة من الزمن[٨٧] .

وشارك اهل بغداد الخليفة في فاجعته هذه ، اذ اقيمت المناحات ليلًا ونهاراً ولم يبق ببغداد محلة الا وفيها النوح[٨٨] وازاء ذلك اضطر الخليفة الناصر لدين الله الى اعادة ابي نصر محمد الى ولاية العهد وبويع[٨٩] له مجدداً فلما توفى الخليفة اصبح ابو نصر خليفة[٩٠] ولقب نفسه بـ (الظاهر بأمر الله)[٩١] وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل خمسين سنة[٩٢] .

مرض الخليفة الناصر ووفاته

تشير الروايات التاريخية الى انه في سنة ٥٩٨ هـ / ١١٩١ م الم بالخليفة

(٨٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .
انظر : ابن الفرات ، تاريخ ، مج ٥ ، ج ١ ، ص ص ١٦٩ — ١٧٠ .
(٨٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .
انظر : ابن واصل الحموي ، مفرج الكروب في مناقب بني ايوب ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ .
الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٤٣ — ٢٤٨ .
(٨٩) بايعه الناس وهو في الحبس مضبوط عليه فلما توفي الناصر اخرجه ارباب الدولة وبايعوه بالخلافة .
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٢ .
(٩٠) المقريزي ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .
انظر : السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٥٨ .
الصفدي ، الوافي بالوفيات ، جـ ٢ ، ص ٩٥ .
ابن دحية ، النبراس ، ص ١٧١ .
(٩١) قصد بذلك ان اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر عنه فظهر وولي الخلافة بامر الله لا بسعي من احد .
ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٤١ .
(٩٢) المقريزي ، السلوك ، جـ ١ ص ٢١٨ .

←

الناصر لدين الله مرض شديد وكان المرض بالرمل وعرض له في المثانة حصاة كبيرة مفرطة في الكبر واشتد به الالم وطال المرض فاستدعى الخليفة الناصر لدين الله طبيبه الخاص ابا الحسن صاعد بن سعيد بن ابي الخير بن عيس[٩٣] وهو طبيب عراقي نسطوري وكان من اشهر مطببي بغداد وجراحيها في زمانه واخذ ابو الحسن في مداواته حتى شفي من مرضه حيث استطاع الطبيب اخراج الحصاة التي قدر وزنها بسبعة مثاقيل وقيل خمسة مثاقيل وبرىء الخليفة وتتابع الشفاء وكافأ الطبيب المعالج مكافأة مجزية قدرت بعشرين الف دينار ، فضلًا عن الثياب والهدايا والخلع شيء كثير وفرض له الراتب والاقامة ولم يزل مستمراً[٩٤] في الحكمة الى ان مات الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م [٩٥] . وكان الخليفة الناصر في اخر ايامه قد ضعف بصره وادركه سهو في اكثر اوقاته حتى عجز عن النظر في القصص والانهاءات[٩٦] فاستحضر امرأة من النساء البغداديات تعرف بـ (ست نسيم) وقربها وكانت تكتب خطا قريباً من خطه ، وجعلها بين يديه تكتب الاجوبة والرقاع وشاركها في ذلك خادم اسمه (تاج الدين رشيق) ثم تزايد الامر بالناصر فصارت المرأة تكتب في الاجوبة بما تراه فمرة تصيب ومرة تخطىء ويشاركها رشيق في مثل ذلك واتفق ان كتب الوزير المؤيد مطالعة وحملها وعاد جوابها وفيه اختلال

← انظر : السيوطي ٥ تاريخ الخلفاء ٥ ص ٤٥٨ .

(٩٣) هو صاعد بن هبة الله بن المؤمل ابو الحسن النصراني الحظيري خدم الخليفة الناصر وتقرب تقرباً كثيراً وكانت له المعرفة التامة بالطب والمنطق صنف كتاباً صغير الحجم سماه الصفوة جمع فيه اجزاء الطب .

ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٣٨ .

(٩٤) وقيل انه توفي في حياة الخليفة الناصر وانه قد ترك ولداً واحداً متخلفاً فامر الخليفة الناصر ان نترك له اموال والده (فما خرج منا لا يعود الينا) ومن مؤلفاته كتاب مختصر في الطب على صورة اسئلة واجوبة هو الاقتضاب الذي لخص فيه كليات قانون ابن سينا موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين ، مؤنس ــ الصياد ، جـ ٥ ، بيروت ، ص ١٦٣ .

(٩٥) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ص ٣٥٣ ــ ٣٥٥ .

انظر : موسوعة العلوم الاسلامية ، جـ ٥ ، ص ١٦٣ ، العمري ، غاية المرام ، ص ١٥٩ .

(٩٦) الانهاءات مفردها الانهاء وهو ما يكتبه الوزير ونائب الوزارة الى الخليفة من شؤون الدولة فينتهي اليه ويطلع عليه فيرتضيه ويمضيه او يرفضه فيمنعه .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٦٠ .

بين فتوقف الوزير وانكر ثم استدعى الحكيم صاعداً واسر اليه[97] ما جرى وساله تفصيل الحال فعرفه ما للخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارىء في اكثر الاوقات . وما تعتمده المرأة والخادم من الاجوبة فتوقف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة اليه[98] .

وتذكر بعض المصادر انه في السنتين الاخيرتين من حياته اصابه فالج (الشلل)[99] .

قال ابن الاثير : « بقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكلية وقد ذهبت احدى عينيه والاخرى يبصر بها ابصاراً ضعيفاً وفي اخر الامر اصابه دوسنطاريا عشرين يوماً ومات[100] ، في ليلة الاحد سلخ شهر رمضان[101] فاصبح

---

(٩٧) قال الموفق عبد اللطيف البغدادي « واما مرض موته فسهو ونسيان بقي ستة اشهر ولم يشعر بكنه حال الخليفة احد من الرعية حتى خفي على الوزير وعلى اهل الدار .

الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٦ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤١ .

(٩٨) جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء ، مصر ، ص ٢١٣ .

انظر : الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٦ .

العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٩٨ .

(٩٩) الذهبي ، العبر ، جـ ٥ ، ص ص ٨٧ — ٨٨ .

انظر : الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

عباس قمي ، تتمة المنتهى ، ص ٣٦٠ .

(١٠٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٤٠ .

انظر : ابي الفدا ، المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ .

القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ ٢ ، ص ٥٦ .

ابن خلدون ، العبر ، مج ٣ ، ق ١ ، ص ١١٠٢ .

(١٠١) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ٤٣٨ .

انظر : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، مج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٣٥ .

ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٦١ .

ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٢ .

الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٢ .

القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ ٢ ، ص ٥٦ .

ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٠٦ .

— ينفرد ابن ابي عذيبه في وفاة الخليفة الناصر لدين الله ويقول : قتل في سنة ٦٢٢ هـ ، انسان ←

الناس وابواب دار الخلافة مغلقة واحضر العدل يحيى الدين يوسف بن الجوزى فغسله وصب الماء عليه الاستاذ منجب[١٠٢] ودفن في ايوان دار الصخر وفي ليلة الجمعة ثاني ذي الحجة من السنة نقل تابوته الى ترب الرصافة فدفن الى جانب جده المستنجد بالله وكان الوزير وارباب الدولة بين يدي تابوته قياماً وتردد الناس الى مدفنه ثلاثة ايام لقراءة القرآن والوعظ والتصديقات[١٠٣] وانشد الشعراء المراثي ودعا للختمة ابو طالب بن المهتدي[١٠٤] وكان الخليفة الناصر قد اعد لنفسه ضريحاً ومدفناً الى جانب ضريح محمد الجواد فلم يدفنه الظاهر[١٠٥] هناك[١٠٦] .

← العيون ، ورقة ٣ .

ـ ورد عند ابن الوردي ، جـ ٢ ، ص ٩٨ ـ ٩٩ ان وفاة الخليفة الناصر لدين الله في اول شوال سنة ٦٢٢ هـ ، تاريخ ابن الوردي .

ـ اورد المقريزي وفاة الخليفة الناصر لدين الله في ثاني شهر شوال سنة ٦٢٢ هـ ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٢١٧ .

كذلك ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٢ .

ـ في حين اورد ابن الساعي وفاة الخليفة الناصر في شوال سنة ٦٢٢ هـ ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١٠٩ .

(١٠٢) هواحد الخدم الخواص .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٧ .

(١٠٣) ضرب من التسبيح يقال فيها (صدق الله ورسوله) .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٨ .

(١٠٤) الكازروني ، م . ن .

(١٠٥) هو ابن نصر محمد الظاهر بامر الله بن الخليفة الناصر لدين الله ولي العهد وقد سبق ذكره في ولاية العهد .

(١٠٦) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٢ .

الفصل الثاني

التنظيمات السياسية والادارية والمالية وأثرها في السياسة الداخلية

أولاً ــ التنظيمات السياسية :

١ ــ الخلافة ٢ ــ الوزارة ٣ ــ الكتابة

٤ ــ الحجابة

ثانياً ــ الشؤون الادارية :

١ ــ الولاية على الأمصار في خلافة الناصر

٢ ــ الدواوين

٣ ــ دور الضرب والمسكوكات على عهد الخليفة الناصر

٤ ــ البريد

٥ ــ الشرطة

ثالثاً ــ النظام القضائي :

١ ــ اختيار القاضي

٢ ــ قضاة الخليفة الناصر لدين الله

٣ ــ الحسبة

رابعاً ــ الإجراءات المالية :

١ ــ بيت المال

٢ ــ صاحب المخزن

٣ ــ واردات الدولة : الخراج ، الجزية ، الزكاة ، العشور ، الفيء ، ضرائب أخرى ، أموال المصادرات ، الضمان .

خامساً ــ النشاط الاقتصادي في عصر الناصر لدين الله :

١ ــ الزراعة ٢ ــ التجارة ٣ ــ الصناعة

أولاً ـــ التنظيمات السياسية

١ ـــ الخلافة :

مؤسسة عربية تقع في جملة النظام الاداري للدولة العربية الاسلامية وقد وردت كلمة خليفة وخلفاء وخلائف في القرآن الكريم.[١]

والخلافة اصطلاح يطلق على سياسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي (ﷺ) وعقدها لمن يقوم بها في الامة واجب بالاجماع.[٢]

وتعامل العباسيون (١٣٢ ـــ ٦٥٦ هـ) مع مؤسسة الخلافة بالنهج نفسه الذي اتبعه الامويون حيث عهد بولاية العهد لاكثر من واحد . ويبدو لي ان نظام الوراثة والعهد لاكثر من واحد كان له الاثر الكبير في اضعاف الخلافة العباسية وبالتالي اسقاطها .

ففي اواخر حقبة التسلط السلجوقي (٤٤٧ ـــ ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ ـــ ١١٩٣ م) والتي كان الناصر لدين الله فيهاعلى دست الحكم ، استعادت الخلافة كثيراً من امتيازاتها فعاد الناس يلقبون الخليفة بأمير المؤمنين ، على الرغم من ان السلطان السلجوقي ما زال محتفظاً ببعض الصلاحيات التي كانت تحد بعض الشيء من ممارسات الخليفة . الا ان الخليفة الناصر لدين الله تمكن من الاجهاز على آخر سلاطين السلاجقة سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م[٣]

الخلافة على عهد الخليفة الناصر لدين الله :

عندما تولى الناصر لدين الله الخلافة سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م كان نفوذ الخلافة المباشر مقتصراً على بغداد والبصرة وواسط والحلة وطريق خراسان ، لان كثيراً من الاقاليم انفصلت عن جسم الدولة واضحت ترتبط بحاضرة الخلافة بوشائج واهية ، فلم يرث الخليفة الناصر ملكاً كبيراً ولا سطوة عظيمة بل وجد اسم الخلافة الكبير مقتصر النفوذ على مناطق ضئيلة المساحة لا تتفق وعظمة هذا المنصب وما يتمتع به من قدسية لدى جميع المسلمين ، ذلك ان الخطبة والدعاء على

---

(١) سورة الانعام ، اية ١٦٥ ، سورة النور اية ٥٥ ، سورة الاعراف اية ٦١ سورة البقرة آية ٣٠ .

(٢) الماوردي الاحكام السلطانية ، طـ ١ ، ١٩٦٦ ، ص ٥ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ص ١٠٧ ـــ ١٠٨ .

←

المنابر ، امور شكلية لم ترض طموح الناصر لدين الله[4] لذلك عمد جاهداً لاستعادة هيبة الخلافة وامتيازاتها وصلاحياتها كاملة غير منقوصة .

وقد ذكر القلقشندي رسوم الخلافة وحدد ايضاً شعار الخلافة[5]

وقد وصف الخلفاء بأنهم سادة الناس كلفهم الله ان يحوطوا رعيتهم بالحراسة لها والذيادة عنها ويرد قويها عن ضعيفها وجاهلها عن عالمها فلولا الدسائس لضاع المسوس ولولا قوة الراعي لهلكت الرعية[6] .

ومن هنا نلاحظ ان الخليفة العباسي لم يعد مجرد امام يقود الجماعة الاسلامية الى الصراط المستقيم بل اصبح قائداً (زعيماً) يشرف على حكم رعية خاضعة له وسلطنة واسعة ما دام قادر على ممارستها .

دار الخلافة العباسية في اواخر عهدها :

ونستطيع ان نتلمس المكانة السياسية التي صار يمارسها الخليفة العباسي الناصر لدين الله من عظمة عاصمته بغداد ، وفخامة دار الخلافة واتساعها . وقد قدم لنا ابن جبير ، الذي زار بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وصفاً دقيقاً وشاملاً ووصف هذا الرحالة الجانب الشرقي من بغداد حيث وجدها حافلة بالاسواق العظيمة ، كما هاله كثرة سكان بغداد ، وعدد المساجد الجامعة ، لاسيما الجامع المتصل بدار الخلافة ، واندهش ابن جبير من كثرة حمامات بغداد فقدر عددها بالفي حمام . كما انه اشار الى ابواب بغداد الشرقية واعطانا وصفاً دقيقاً لها وشاهد ان في داخلها اسواقاً حركة البيع والشراء نشيطة جداً فيها ، وبخاصة في سوق الثلاثاء التي كانت اعظم اسواق الجانب الشرقي حينذاك[7] . وكثرت اشارات ابن جبير الى باب

← ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٢ .

الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨١ .

ابو الفدا ، المختصر ، جـ ٣ ، ص ٨٩ .

الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .

السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٥٤ .

(٤) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب الجامع المختصر لابن الساعي ، جـ ٩ ، ص ٥ .

(٥) القلقشندي ، مآثر الانافة . حـ ٢ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، ٢٣٠ — ٢٣٢ و ٢٣٣ الصولي ، اخبار الراضي والمتقي بالله ، القاهرة — ١٩٣٥ ، ص ٣ .

(٦) محمد عويس ، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٨٩ .

(٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ص ١٧٩ — ١٨٣ .

النوبي[8] ، الذي كان يدعى احياناً باب العتبة ، وعندها كان مقام جلوس الخليفة وهي العتبة التي تقبلها الرسل والملوك اذا قدموا بغداد وكانت هذه العتبة اسطوانة من الرخام الابيض ، ثم اصبح باب النوبى الباب الرئيس للقصور وكان بين باب النوبى وباب العامة ارباض لفئات مختلفة من اهل بغداد ، ويفصلها عن حريم[9] القصر سور داخلي فيه ثلاثة ابواب هي باب الدوامات ويليه باب عليان ثم باب الحرم[10] . ونحو ميل من باب العامة هناك باب بستان دار الخلافة تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا في الاعياد ، ثم باب المراتب[11] ولم يكن يستطاع الوصول الى قصر الخليفة ومتنزهاته وحدائقه الخاصة الا بعبور سور داخلي اقيم حول الاراضي المحيطة بقصر الخليفة الذي يبعده عما يحصل من الاضطرابات . واما الخروج من حدائق القصر الى النهر فقد ظل مفتوحاً خالياً من السور[12]

وقد ذكر ابن الساعي[13] انه في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م وقع حريق في دار الخلافة وفتح باب النوبي وباقي الابواب الى صحن السلام وخرج الوزير وجمع الفراشين من دور الاعيان والمدارس والربط واجتمع خلق كثير حيث استمر الحريق ليلة ونهار كاملين حتى اطفىء وقد اتلف اشياء كثيرة ، الا ان المصادر لا تفصح عن سبب حدوث هذا الحريق وكيفية حدوثه بل اكتفت بالاشارة الى وقوعه فقط في دار

---

(٨) منسوب الى سعيد النوبي الذي كان حاجباً فيه . (انظر : مصطفى جواد ، عمارات ، مجلة سومر ، مج ٢ ، جـ ٢ ، عدد تموز ، لسنة ١٩٤٦ ، ص ٢٠٢ .

(٩) جميع ما يشتمل عليه السور من دور العامة ومحالها وجامع القصر الذي تقام فيه الجمعة ببغداد يسمى الحريم وفيه محال واسواق وخانقاهات ودور كثيرة للرعية كاكبر مدينة . كما يشتمل على قصور الخلفاء العديدة ومحلات صغيرة يقيم فيها رجال الخليفة وقواده وزعماء الدولة ورؤساؤها . مصطفى جواد ، عمارات ، مجلة سومر ، مج ٢ ، جـ ٢ ، تموز ١٩٤٦ ، ص ٢٠٣ .

انظر : محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني ، الانباء في تاريخ الخلفاء ، لايدن ١٩٧٣ ، ص ١٥ .

ـ لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، طـ ١ ، ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م ، ص ٢٣٥ .

(١٠) لسترنج ، بغداد ، ص ٢٣٤ .

العمري ، غاية المرام ، ص ٢٩ .

(١١) مصطفى جواد ، عمارات ، مجلة سومر ، ص ٢٠٣ .

(١٢) لسترنج ، بغداد ، ص ٢٣٥ .

(١٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١٤٥ .

الخلافة وربما يكون قد احدثته جماعات مناوئة لحكم الخليفة الناصر لدين الله هدفها الاضرار واحداث حالة من الشغب والبلبلة بقصد زعزعة الامن والاستقرار وربما قد حدث عن غير تعمد .

ويتضح لنا من الوصف الذي اجملناه في الصفحات السابقة انه لم يبق اثر لقصري الفردوس والحسني حيث اقيم على ارض القصر الحسني في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي القصور القريبة من الابواب الثلاثة ، باب القرية وباب التمر ، وباب بدر[14] وكانت هذه الابواب شمالي سور الحريم حيث شيدت فيما بعد المدرسة المستنصرية ودار الريحانيين[15] .

موظفو دار الخلافة :

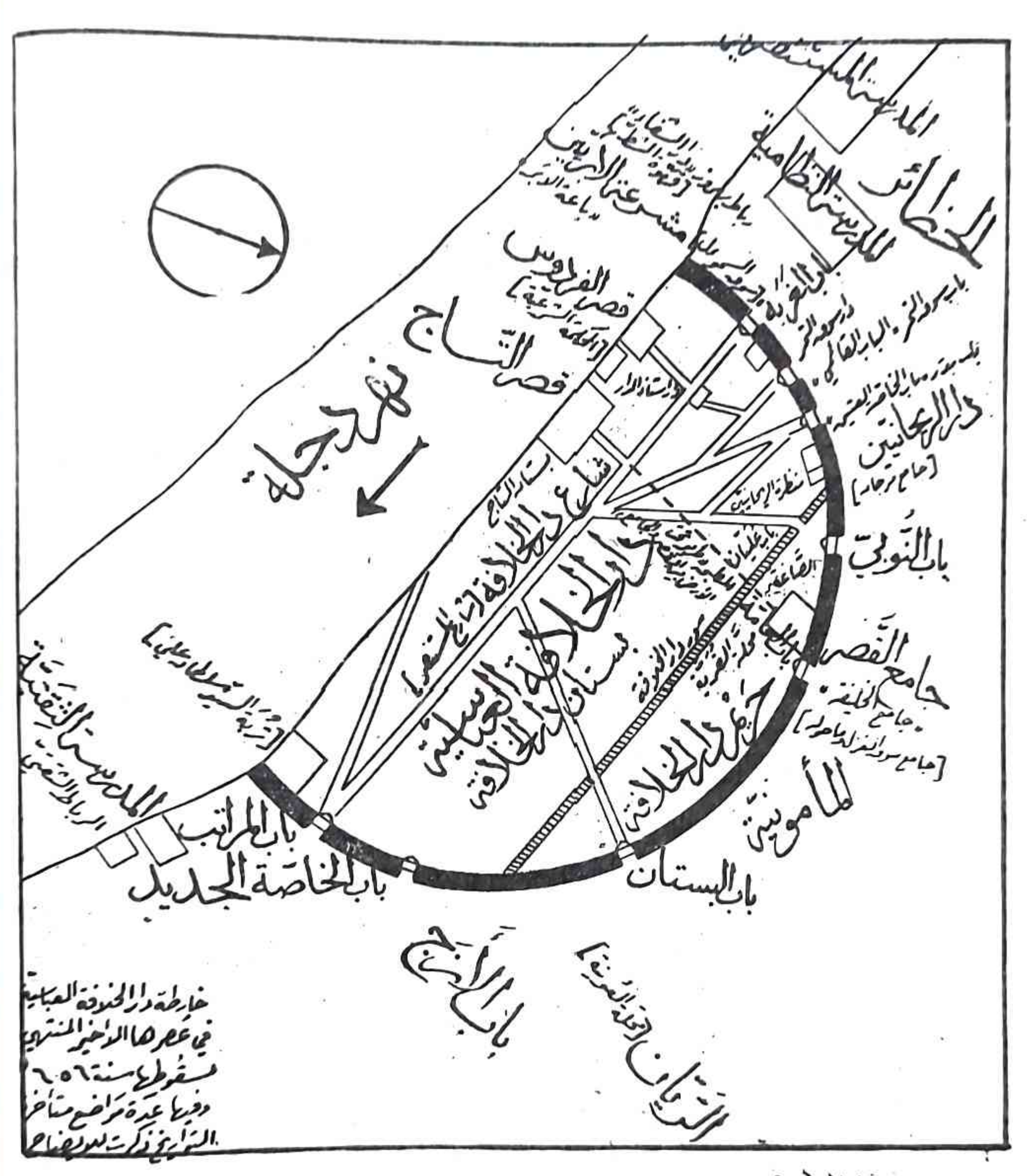
كان على رأس موظفي الخلافة ــ خلال الحقبة موضوع البحث ــ استاذ الدار ، وهو الذي يدير امور دار الخلافة بما تحويه من موظفين ، وخدم وجميع من تضمهم الدار ، والمقيم على حراستها والمتفقد لها ليلًا ونهاراً . وقد بلغت سطوة احدهم انه دعي له على المنابر في بغداد بعد الدعاء للخليفة ، وهذا ما شاهده وسمعه ابن جبير عندما زار بغداد سنة (٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م)[16] . وكان يؤتى بالشخص المرغوب فيه ويسكن في الدار المخصصة (للاستاذية) وهي دار تقع مقابل احد ابواب دار الخلافة المسمى بباب الفردوس ، وعندما يتم ترتيبه يدخل عليه الناس مهنئين له ثم يهد استاذ الدار في اليوم التالي الى الركوب الى دار الوزير ثم يعود الى داره ويستمر بعدها في اداء عمله بدار (الاستاندارية) ، واهم من وليها بهاء الدين ابو نصر

---

(١٤) او باب البدرية وهو احد ابواب دار الخلافة .
الكازروني ، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، ورقة ٣٩ ــ ٤٠ .

(١٥) وهي دار في دار الخلافة ببغداد مشرفة على سور الريحان استجدها الخليفة المستظهر بالله ابن المقتدي ، نقض دار خاتون التي بباب القرية ودار السيدة بنت المقتدي وكان بالريحانيين سوق فاخربه واضافه اليها وكان اثنان وعشرون دكاناً وهناك خان يعرف بخان عاصم وثلاث وعشرون دكاناً من ورائه وسوق للعطارين .
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٤٢٠ .
انظر الخريطة التفصيلية الموضحة .

(١٦) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨١ .
ابن ابي عذيبة ، انسان العيون ، ورقة ٨٠ .



خارطة دار الخلافة العباسية في عصرها الاخير المنتهي بسقوطها بسنة ٦٥٦ هـ وفيها عدة مواضع متاخرة التواريخ ذكرت للايضاح

مجلة سومر، الجزء ٢، المجلد ٢، عدد تموز ١٩٤٦.

المبارك ابن الضحاك الملقب عضد الدين سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م[١٧] ، وكان قد تولاها ابو المظفر هبة الله بن علي بن الصاحب وكان متحكماً في الدولة لدرجة كبيرة الامر الذي جعل الوزير عبيد الله بن يونس يحرض الخليفة على التخلص منه حيث امر الخليفة بقتله فمات سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧ م[١٨]

اما وكيل الخليفة[١٩] (وقد وجدت هذه التسمية في شذرات الذهب)فيمضي المعاقدات والمعاهدات والبياعات نيابة عنه .

ومن الوظائف الاخرى في هذه الحقبة حجابة باب النوبي وصاحبها ذو مكانة قريبة تؤهله للارتقاء الى منصب نائب الوزير او الوزير ، وقد ينقل حاجب باب النوبي الى صدرية المخزن وتولي امور اموال الدولة وهو بدوره قد ينقل الى نيابة الوزارة او الوزارة وكذلك صاحب ديوان الزمام وكاتب الانشاء ، وحاجب الباب بمقام مدير الشرطة العام والشحنة بمقام مدير الشرطة الخاص ، وكان نائب الشرطة يتلقى الامر من حاجب باب النوبي وهو من اتباعه[٢٠] . هذا فضلًا عن وظيفة القضاء ، بمراتبه الثلاث وهي ، قاضي القضاة[٢١] ، واقضى القضاة[٢٢] والقاضي ، وكذلك نقابة العباسيين ، ونقابة العلويين ، ونقابة النقباء ، فضلًا عن نظارة المارستان ونظارة الاوقاف ومشيخة الربط ، ومنصب التدريس ، وحاجب الحجاب ،[٢٣] وامارة الحج في

---

(١٧) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ٢٨٥ .

(١٨) ابن خلدون ، العبر ، مج ٣ ، ق ١ ، ص ص ١٠٨٩ — ١٠٩٠ .

السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ ٦ ، ص ١١ .

ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ ٢ ، ص ص ٩٨ — ٩٩ .

(١٩) ابن العماد الحنبلي ، جـ ٥ ، ص ٣١ .

(٢٠) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ص ١٣٢ و ٢٢٧ — ٢٢٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ١٦١ . الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٣١ و ١٦٩ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ١ ، ص ص ٥٣ — ٥٥ .

الذهبي ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٠٨ .

(٢١) قاضي القضاة اكبر واعلى درجة من اقضى القضاة وتعادل وزير العدل في ايامنا الحالية .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١ ، احداث سنة ٥٩٥ هـ .

(٢٢) اقضى القضاة وهي رتبة دون رتبة قاضي القضاة .

السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ ٤ ، ص ص ٢٧٩ — ٢٨٠ .

(٢٣) اي رئيس للحجاب وهناك وظيفة اخرى هي امير حاجب فهي اعلى من رتبة حاجب الحجاب ، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ ، جـ ١٠ ، ←

دار الخلافة ، والخاص في الجوامع ، وكاتب السلة[٢٤] بديوان الزمام والنظر في دار الضرب فضلًا عن صاحب المخزن ورئيس الرؤساء والشحنة[٢٥] والناظر[٢٦] والنظر في المظالم والمحتسب وهي وظائف دينية[٢٧] وهذه الوظائف سنتناولها بالتفصيل عندما نتعرض لموضوع النظم الادارية والاقتصادية وقد ذكرناها لاننا بصدد توضيح وظائف الدولة وتعدادها في عهد الخليفة الناصر لدين الله .

٢ ــ الوزارة :

ياتي منصب الوزارة بعد الخلافة من حيث الاهمية السياسية والادارية ومنصب الوزارة ظهرت بداياته ــ بشكلها البسيط ــ منذ صدر الدولة العربية الاسلامية ، الا ان هذا المنصب برز بشكل واضح عند قيام الدولة العباسية حيث رسخت قواعدها وتاطرت واجباتها ، وسمي الوزير وزيراً ، بعد ان كان قبل ذلك يسمى كاتباً ومشيراً[٢٨] ومر منصب الوزارة بحقب متباينة بين القوة والضعف قبل الحقبة موضوع

← ص ١٩٤ .

(٢٤) كاتب السلة : المراد بالسلة هنا ما تحفظ فيه بعض الكتابات الديوانية بديوان الزمام وكاتب السلة هو الذي يرقمها فالسلة كانت مجمعاً للمسودات .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ص ٢٢٩ .

(٢٥) الشحنة : من وظائف الدولة الادارية واتباع الشحنة من الجند ويعتمد على السيف والتحقيق .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، المقدمة ، ص يب .

في حين يرى د . فاروق عمر ان الشحنة وظيفة بوليسية ادارية جديدة ظهرت على العهد السلجوقي بالعراق ولكن صلاحياتها لا تتعدى مدينة او قرية ويمكن للشحنة ان يستعين بالعسكر لينفذ الاوامر والقضاء على الفتن والاضطرابات . النظم الاسلامية ، ص ٩١ .

(٢٦) الناظر : موظف (مشرف) مالي الا انه بسبب التداخل في اعمال الموظفين في الدولة العباسية فقد كان يعهد اليه احياناً وظيفة مهمة الاشراف على الادارة ، كما تولى بعضهم النظارة والاشراف وكان للناظر نواب .

انظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢١٨ ــ ٢١٩ ، ٧٠ ، ١٩٣ .

انظر : ابن ابي علنية ، انسان العيون ، ورقة ٩٤ ــ ٩٥ .

انظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ٣ ، ص ١١٧٧ .

(٢٧) الابيوسي ، مضمار الحقائق ، ص ٨٨ ــ ١٣١ .

(٢٨) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥٣ .

البحث . فالوزارة اسم مشتق من ثلاثة اوجه احدها احدها ماخوذ من الوزر وهو الثقل لانه يحمل عن الملك اثقاله والثاني ماخوذ من الوزر وهو الملجا ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر) اي لا ملجا فسمي بذلك لان الملك يلجا الى رأيه ومعونته والثالث ماخوذ من الازر وهو الظهر لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر[٢٩] . فالوزير اذن ساعد الخليفة الايمن وكثيراً ما كان يقوم مقامه[٣٠] فله دور كبير في مؤازرة الخلافة وتاييدها وان كانت مكانته مرتبطة بمكانة الخليفة نفسه من حيث القوة والضعف[٣١]

فالوزير وسيط بين الملك والرعية فيجبه ان يكون في طبعه شطر يناسب طباع الملوك وشطر يناسب طباع العامة ليعامل كل منهما بما يوجب له القبول والمحبة والامانة والصدق رأس ماله والكفاية والشهامة من مهماته والتيقظ والدهاء والحزم من ضرورياته .[٣٢]

اختيار الوزراء :

نظام الوزارة ــ كما قلنا ــ نظام قديم في الدولة العباسية نشا منذ قيامها ، واستقرت اصوله وعرفت رسومه ، الا ان ظروف الدولة العباسية التي مرت بها في اوقاتها المتاخرة حتمت على الخلفاء ان يختاروا وزرائهم من بين المشهورين بالعلم والصلاح والخبرة والحنق الاداري .

فكان الخليفة الناصر لدين الله على معرفة تامة في اختيار الرجال وان اشكل عليه حاله اشاع بين الناس انه يريد ان يوليه منصباً ما ، ثم يتمادى في ابرام ذلك

---

(٢٩) ابو الحسن علي بن حبيب الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، طـ ٢ ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م ، ص ٢٤ .

انظر : الماوردي ، الوزراء ، اسكندرية ، طـ ١ ، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦ م ، ص ٦٥ .

ــ حمدان عبد المجيد الكبيسي ، مؤسسة الوزارة في الدولة العربية الاسلامية اصولها وتطورها ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٩ لسنة ١٩٨٦ م ، ص ١٣٩ .

(٣٠) فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، ١٩٨٢ ، طـ ١٠ ، ص ٣٨٦ .

(٣١) محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير ، النجف ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م ، ص ١١٥ .

انظر : غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، طـ ٤ ، ١٩٦٤ ، ١٧٣ .

ــ حسام قوام السامرائي ، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، دمشق ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م ، ص ١٠٢ .

(٣٢) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥٢ .

إماً فيمتليء البلد بالاراجيف لذلك الرجل فقوم يصفون فضائل المرشح وقوم يذكرون مبويه وللخليفة عيون واصحاب اخبار[٣٣] لا يؤبه لهم يخالطون اصناف الناس ويكتبون للخليفة اي المتولين ارجح واصوب فيلجأ اليه الخليفة فحسن الاختيار اصل عظيم.[٣٤]

ويبدو لي ان الوزارة في هذه الحقبة لم تكن مقصورة على بيوتات معينة كما كان ذلك في صدر العصر العباسي ذلك ان جلال الدين ابا المظفر عبيد الله ، وزير الناصر لدين الله كان قبل توليه الوزارة من الشهود المعدلين[٣٥] ثم تقلبت به الاحوال حتى بلغ الوزارة ويبدو انه اظهر براعة وادراكاً في الامور العسكرية الامر الذي جعل الخليفة الناصر لدين الله يرسله على رأس جيش لمحاربة طغرل بن ارسلان بن طغرل السلجوقي[٣٦] . ولم يكن التمرس في الادارة وحده الذي جعل بعض الاشخاص مؤهلين للوزارة بل الثقافة العامة ايضاً ، اي ان الخليفة الناصر كان يؤكد ويأخذ بنظر الاعتبار الكفاية الادارية والعسكرية فمثلاً كان ابن القصاب مؤيد الدين ابو المظفر محمد بن احمد ممن اكتسب ثقافة واسعة فقد نشأ طالب علم وادب فبرع في الحساب والمساحات والمقاسات ، ثم صارت له معرفة بأمور الوزارة ، فكانت نفسه قوية ، وهمته عالية ، قاد العساكر ، وفتح الفتوح وجمع بين رياستي السيف والقلم.[٣٧] والوزير نصير الدين ابن مهدي العلوي مثال آخر كان قد اشتغل في صباه بالادب وفي الدواوين وهذا ما اكسبه خبرة ومعرفة فجاء الى بغداد فوجد فيه الخليفة الناصر لدين الله رجلاً عاقلاً عارفاً بالامور فرتبه نقيب الطالبين ثم فوض اليه الوزارة[٣٨] وجاء عن مؤيد الدين محمد به محمد بن عبد الكريم برز انه كان بصيراً بامور الملك ،

---

(٣٣) كانت للخليفة الناصر (١٧٠٠) عجوز يطالعونه كل ليلة باخبار البلد حتى كان الرجل يخشى ان يتحدث هو وزوجته مخافة ان ينقل ذلك الى الخليفة الناصر.

ابن ابي عذيبة ، انسان العيون ، ورقة ٤ .

(٣٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٩ .

(٣٥) الشهود المعدلين او العدول هم جماعة من الناس يختارون لمساعدة القضاة في عملهم ممن يتصف بالدين والاستقامة في حياته الاجتماعية . بدري محمد فهد ، تاريخ الشهود ، بحث مستل من مجلة كلية الشريعة ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٣٢ .

(٣٦) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٣ .

(٣٧) إبن الطقطقي ص ٣٢٣ .

(٣٨) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٥ .

خبيراً بادوات الرياسة ، عالماً بالقوانين ، عارفاً بامور الدواوين ، خبيراً بالحساب ، وله معرفة بفنون الادب ، راوياً لطائف الاخبار ، وكان اول امره قد مارس الامور الكتابية في الاقاليم الشرقية ثم جاء بغداد مع وفد الى دار الخلافة فاعجب به الخليفة وابقاه ببغداد وعين في كتابة الانشاء وظل على سداد من امره فوزر لثلاثة خلفاء هم الناصر لدين الله والظاهر ثم المستنصر[٣٩] .

مراسم اسناد الوزارة :

تتم طريقة اسناد الوزارة بشكلين ، شفاها ، وتحريراً ، فكان يؤتى بمن وقع عليه الاختيار ليكون وزيراً الى دار الخلافة فيخبره الخليفة بتكليفه بالقيام باعباء هذا المنصب بحضور ارباب الدولة كأستاذ الدار ، وقاضي القضاة ، وخواص الخليفة من القادة العسكريين ، ثم يخلع عليه خلع الوزارة ، ويمضي بعدها الى الديوان فيقرأ عهده كاتب الانشاء[٤٠] . والطريقة الثانية وهي ان يأتي عهد الخليفة مكتوباً الى الشخص المكلف بالوزارة ثم يحضر فيقرأ عهده علناً وتجري بعد ذلك مراسيم الاستيزار وخلعة الوزارة ، وبعد ان يقرأ عهد الوزير علناً امام ارباب الدولة يقوم بالانتقال من داره الى دار الوزارة التي يزاول فيها عمله الرسمي اليومي[٤١] . وكانت دار الوزارة مقابل باب النوبي في عهد الخليفة الناصر لدين الله وظلوا يجلسون فيها حتى زوال الخلافة[٤٢] ، فاذا عزل الوزير او مات فان هذه الدار تعد للوزير الذي يخلفه[٤٣] .

واشترط الفقهاء والمنظرون — بوجه عام — فيمن يتولى منصب ، الوزارة شروطاً خاصة منها[٤٤] الاسلام الحق ، والرجولة الراشدة ، وعدم الاشتغال بالتجارة ، والعدل والصدق والامانة والكفاية ، فضلًا عن سلامة الحواس والاعضاء والشجاعة والنجدة المؤديين الى الحفاظ على الدولة .

صفات الوزير :

اتفق اغلب الكتاب والمؤرخين على تحديد الصفات الواجب توفرها في الوزير

---

(٣٩) م . ن ، ص ٣٢٦ .

(٤٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ١٢٥ .

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ١٩٩ .

(٤٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٢١ .

(٤٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ١٠ ، ص ١٩٩ .

(٤٤) الماوردي ، الوزارة ، ص ص ٣٤ — ٣٨ و ٤٩ — ٦٣ .

فيذكرون انه يجب ان يتصف بالعلم والبلاغة والصدق والامانة والادب[٤٥] ولعل كثير من وزراء الخليفة الناصر لدين الله ممن كانت تنطبق عليهم هذه الصفات .

صلاحيات الوزير :

كانت صلاحيات الوزير ابان خلافة الناصر لدين الله واسعة لا تقل عما كان عليه الوزراء في صدر الخلافة العباسية عندما كان الوزير متمتعاً بثقة الخليفة وتاييده ، ولعل التفويض الذي كتبه الخليفة الناصر لدين الله بخطه لوزيره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم برز يكشف لنا عن هذه الصلاحيات اشار ابن الطقطقي الى ذلك بقوله : فبرز من حضرة الخليفة مكتوب لطيف في قدر الخنصر بخط يد الخليفة فقرىء على الناس وفيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد بن برز نائبنا في البلاد والعباد ، فمن اطاعه فقد اطاعنا ، ومن اطاعنا فقد اطاع الله ، ومن اطاع الله ادخله الجنة ، ومن عصاه فقد عصانا ، ومن عصانا فقد عصى الله ، ومن عصى الله ادخله النار » .[٤٦] فنبل الوزير الجديد بهذا التوقيع في اعين الناس وعلت منزلته . وكان من صلاحيات الوزير النظر في الدواوين كلها . وكان ارباب الاعمال يراجعونه في سائر الامور وهو الذي يقوم بتبليغ القضاة قرار الخليفة بتوليهم ، ويخلع عليهم في دار الوزارة ، ثم يراقب اعمالهم ، ويتولى عزلهم عند الضرورة .[٤٧] ويقوم كذلك بمخاطبة نقباء العلويين والعباسيين ، ويخلع عليهم ويقرأ عهدهم في دار الوزارة[٤٨] واحياناً ينوب عن الخليفة في استعراض الجيوش في المناسبات او قيادتها لقمع حركات المتمردين على الخلافة[٤٩] وكان يشرف على استقبال امراء البلاد المجاورة ، او رسلهم وينظم وصولهم الى الخليفة وضيافتهم وتوديعهم .[٥٠]

اما مطالعات الوزير الى الخليفة فكانت تبرز على يد اشخاص معينين وكذلك مطالعات الخليفة الى الوزير وغيره ممن تبرز اليه مطالعته ومنهم سعد الدين محمد

---

(٤٥) ابو الفرج قدامه بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، الخراج وصناعة الكتابة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٤٨٠ وما بعدها .

(٤٦) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥٣ .

(٤٧) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١١٥ ، ٢٠١ ــ ٢

(٤٨) م . ن ، ص ١٩٣ .

(٤٩) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٤٧ .

(٥٠) م . ن ، ص ٢٦٠ ، ٢٦٢ ــ ٢٦٣ .

بن جلدك وعمر بن جلدك المعروف بالمطالماتي.[٥١]

نائب الوزير :

لعل ابرز ما تميز به عصر الخليفة الناصر لدين الله هو استحداث منصب نيابة الوزارة (وكالة الوزارة حالياً) فكان الناصر لدين الله اكثر الخلفاء استعمالًا لهذا المنصب ، وربما ذلك متأتياً من طول المدة التي حكم بها والتي دامت ما يقرب من نصف قرن .

وقد اكد حقيقة النيابة في الوزارة في عهد الخليفة الناصر لدين الله الرحالة ابن جبير عندما جاء الى بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ واصفاً الخليفة بانه ليس له وزير وانما له خديم يعرف بنائب الوزارة يحضر الديوان المحتوي على اموال الخلافة وبين يديه الكتب فينفذ الامور وله قيم على جميع الديار العباسية وامين على كافة الحرم الباقيات من عهد جده وابيه وعلى جميع من تضمه الحرمة الخلافية.[٥٢]

ويشير ابن الساعي الى ذلك في حديثه عن تولية ابي البدر بن امسينا اذ يقول : « ثم ركب الى دار الوزير وجلس بالحجرة التي يجلس فيها نواب الوزارة فنفذ المراسيم وعاد الى داره بعد المغرب ثم نقل الى دار الوزارة ظاهر باب النوبي »[٥٣] .

العزل

تشير رواياتنا التاريخية الى ان عزل الوزراء ونواب الوزراء يختلف باختلاف الوزراء والنواب انفسهم والظروف التي يمرون بها خلال تقلدهم هذا المنصب فقد يكون سبب العزل سياسياً مثل ما جاء عن نائب الوزارة ظهير الدين بن العطار الذي حاول ابعاد الخليفة الناصر لدين الله عن الخلافة واعطاءها الى اخيه ابي منصور هاشم تحقيقاً لرغبة الخليفة المستضيء ، الا انه اجبر على اخذ البيعة للناصر رغماً عنه ، فلما تمت البيعة للخليفة الناصر امر بالقبض عليه حيث لاقى حتفه[٥٤] وقد يعزل الوزير اذا تحققت مخالفته او خيانته ، او عجزه ، او قصوره او قلت هيبته ، او

---

(٥١) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ١٢ و ٣٠٠ .

(٥٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨١ .

(٥٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٢١ .

ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٨ ، ص ٣١٩ .

(٥٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١١ ، ص ٤٥٩ .

انظر ـ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٥٤ .

القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ ٢ ، ص ٥٧ .

وجد من هو اكفأ منه .

ويرى الماوردي ان العزل بغير سبب موهن للسياسة وفي حالة العزل يقدم الوزير ما له وما عليه حتى يبرىء نفسه ويكشف امره للناس جميعاً ويحدد مسؤوليته .[٥٥] وربما كان للمنافسة والوشاية دورها في عزل بعض الوزراء خاصة اذا كان الوزير سيء الادارة .[٥٦]

وزراء الخليفة الناصر لدين الله ونوابه

استوزر الخليفة الناصر لدين الله اربعة عشر رجلًا خمسة منهم حمل لقب الوزير بينما حمل الباقون لقب نائب الوزير . فعندما بويع الناصر بالخلافة اقرّ ابن العطار ظهير الدين ابي بكر منصور بن ابي القاسم نصر[٥٧] ، وزير ابيه على قاعدته اياماً يسيرة وكان تاجراً في بداية حياته . وفي خلافة الناصر اصبح صاحب المخزن ونائب الوزارة ، ونال من الوجاهة والرياسة ما لم ينله غيره . وتشير المصادر الى انه كان قاسياً فاتكاً جباراً لا يعرف الرحمة الامر الذي دفع الخليفة الناصر لدين الله بالقبض عليه ومصادرة امواله ومعاقبته الى ان مات سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩ م[٥٨]

ثم استدعى الخليفة الناصر لدين الله فخر الدولة بن المطلب ليستوزر ، وكان رجلًا عالماً زاهداً ، ورعاً كثير المعروف ، مشهوراً بالصلاح والتقى ولكنه كان شيخاً عجوزاً فرفض واشار على الخليفة الناصر الى مجد الدين بن الصاحب وكان إذاك استاذ الدار فرفض ايضاً ، وطلب من الخليفة ان يقرّه على خدمته (استاذية الدار) وحينئذ طلب الخليفة من فخر الدولة ان يشير عليه بمن يوليه فاشار بتولية داؤد بن سليمان بن ساورس نائب الوزارة فاحضر ولقب بحسام الدين وخلع عليه جبة وعمامة

---

(٥٥) الماوردي ، الوزارة ، ص ٣٩ .

(٥٦) بدري محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير ، ص ١١٢ .

(٥٧) اسمه منصور ابن نصر بن الحسين ابو بكر ويلقب بظهير الدين . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٨ .

زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م ، ص ١٠ .

(٥٨) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢١ ، ٣٢٣ .

انظر ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ٨٥ .

سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٥٨ .

بيضاء وخلع على ارباب الدولة كافة وبقي ينوب في الديوان شهراً الى ان عزل في محرم من سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م بسبب كره ابن الصاحب له ووشايته لدى الخليفة[٥٩] . ثم رتب محمد بن هبة الله بن النجادي نائباً للوزارة وجلس في الديوان وافردت له الدار التي كانت لابن هبيرة[٦٠] في المطبق[٦١] فكان لا يخرج عن اوامر استاذ الدار ولا ينفرد بأمر دونه[٦٢] وكان فقيهاً متكلماً مكث فيها الى ان توفي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م فنفذ استاذ الدار الى داره واستولى على ما فيها[٦٣].

ثم استناب الخليفة الناصر لدين الله ابا الفتح صدقة بن محمد بن احمد بن صدقة ويبدو انه لم يستمر في منصبه طويلاً حيث عزله الخليفة الناصر بعد ستة اشهر ، ثم استناب محمد بن عبد الباقي بن الداريج الى ان عزله بعد ثلاث سنين[٦٤] واستوزر ابا المظفر عبيد الله بن يونس في شوال من سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ولقبه جلال الدين ومشى ارباب الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة وكان ابن يونس من شهوده[٦٥] ، فقد كان احد العدول ببغداد ، ثم خدم في ديوان الابنية ومن ثم توكل

---

(٥٩) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ص ١٢ ـ ١٤ و ٣٩ .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٩ .

الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٣ .

(٦٠) هو ابو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة من قرية من بلاد العراق تعرف بقرية بني افر وعرفت فيما بعد بدور الوزير نسبة اليه اول ولايته الاشراف على الاترحة الغربية ثم الاشراف على الاقامات المخزنية ثم قلد الاشراف على المخزن ثم قلد كتابه ديوان الزمام ثم الوزارة .

ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، مج ٦ ، ص ٢٣٠ .

(٦١) المطبق هو السجن ، مضمار الحقائق ، هامش ص ٣٩ .

(٦٢) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٣٩ .

(٦٣) جمال الدين الاسنوي ، طبقات الشافعية ، حـ ٢ ، بغداد ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ، ص ١٧٣ .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٩ .

الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٣ .

الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٨٥ .

(٦٤) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٩ .

الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٣ .

(٦٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١١ ، ص ٥٦٢ .

←

لام الخليفة . وبعد ان استوزره الخليفة بعثه في عسكر كبير لمحاربة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل السلجوقي فكسر ووقع في الاسر ثم أطلق وجاء متخفياً الى بغداد ثم ظهر وتولى الاستاذ دارية الى ان عزل ومات(٦٦) واستناب الخليفة الناصر لدين الله قاضي القضاة ابا طالب علي بن علي بن النجادي ثم ما لبث ان عزله(٦٧) واستوزر ابا المعالي سفيد بن علي بن احمد بن حديدة(٦٨) الانصاري البغدادي سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م وخلع عليه خلعة الوزارة(٦٩) وكان رجلًا فاضلًا متصوناً موسراً كثير المال ، روى عنه ان نقيب البصرة ابا جعفر محمد بن ابي طالب جاء بغداد متظلماً اليه من ناظر البصرة وانشده قصيدة فلما سمعها الوزير رق له وبكى وخلع عليه ووصله وقضى حوائجه وانصفه من ناظر البصرة ولكن الوزير سرعان ما توفي في داره معزولًا في سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م(٧٠) ثم استناب ابا المظفر عبيد الله بن يونس للمرة الثانية وقد مرّ ذكره ثم ما لبث ان عزل واستناب محمد بن علي بن القصاب(٧١) ثم قلده الوزارة سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م وخلع عليه خلعة الوزارة بباب الحجرة(٧٢) في يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان من السنة نفسها(٧٣) ، وكان يبيع

← العمري ، غاية المرام ، ص ١٥٨ .

(٦٦) ابن ابي عذيبه ، انسان العيون ، ورقة ٧٠ .

ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٣ .

الذهبي ، العبر ، جـ ٤ ، ص ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

(٦٧) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٩ .

الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٣ .

(٦٨) جاء في خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٨٣ (ابن جديرة) .

(٦٩) الخلعة الوزارية : هي القميص الاطلسي والفرجية الممزج والعمامة القصب والمتحلية بالذهب وسيف محلى وفرس من خيل الخليفة . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٦٧ .

(٧٠) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٤ . الذهبي ، العبر ، جـ ٥ ، ص ٣٥ .

(٧١) هو مؤيد الدين ابي المظفر محمد بن علي بن احمد ابو الفضل ابن القصاب .

ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٤ ، ابن الدبيثي، المختصر المحتاج جـ ١ ، ص ٩٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ١٢ .

(٧٢) باب الحجرة : هو اشرف المواضع للتشريف بدار الخلافة .

ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج ، جـ ١ ، ص ٢٩ من المستدرك .

(٧٣) م . ن

اللحم على رأس درب البصريين ببغداد ونشا هو مشتغلا بالعلوم والاداب وبرع في معرفته الحساب والمساحات[٧٤] ذا خبرة بالامور والحروب وفتح البلاد وكان الخليفة الناصر لدين الله يثني عليه فقد جمع بين رياستي السيف والقلم اذ خرج بالعساكر وفتح همدان واصفهان وحاصر الري ونشر سلطان الخلافة وتوفي بظاهر همدان في اوائل شعبان سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م[٧٥] وكان قد استناب الخليفة ولده بعد توجه والده بالعسكر الى ان وصل نعيه ثم استناب صاحب المخزن الحسن بن نصر بن الناقد المعروف بأبن قنبر الى ان عزله عن النيابة بعد ثلاث سنين[٧٦] ثم استناب الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م وهو مازندراني المولد بغدادي التدبر والوفاة قدم بغداد سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م وكان من كفاة الرجال وفضلائهم واعيانهم اشتغل بالادب في صباه ثم اشتغل بالدواوين وتفوق فيها فكان الخليفة الناصر لدين الله كلما استشاره في شيء وجده مصيباً عين الصواب فاستخلصه لنفسه ورتبه نقيب الطالبين اولا وفي تاسع عشر من صفر سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م خلع على نصير الدين ابي الحسن ناصر بن مهدي العلوي وولي نيابة الوزارة وركب الى الديوان العزيز وجلس به ونفذ مراسم الخليفة ثم فوض اليه امور الوزارة وخلع عليه الخلعة الوزارية في باب الحجرة[٧٧] وجلس في دست الوزارة فمكث فيها مدة تجري اموره على اتم سداد وكان كريماً عالي الهمة شريف

---

(٧٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٤ .

(٧٥) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ١٢ ، ص ١١٢ / ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ١٣٩ .

انظر : العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، حـ ٤ ، ص ٣١١ .

الذهبي ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٢٧٩ .

ـ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٤٣٨ و ٤٤٥ و ٤٥٠ .

ـ القلقشندي ، مآثر الانافة ، حـ ٢ ، ص ٥٩ .

(٧٦) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٣٦ .

الكازروني ، مختصر ، ص ٢٤٩ .

الاربلي ، خلاصة ، ص ٢٨٣ .

(٧٧) باب الحجرة : دار عظيمة الشان عجيبة البنيان فيها يخلع على الوزراء واليها يحضرون في ايام المواسم للهناء واول من انشاها الامام المسترشد بالله ابو منصور الفضل ابن الامام المستظهر . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ .

النفس وفي ثاني عشر جمادي الاولى سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م اشهد الخليفة الناصر لدين الله على نفسه بالوكالة الجامعة للوزير نصير الدين العلوي العدلين ابا منصور بن الرزاز وابا نصر بن زهير[٧٨] وفي ليلة الاحد ثاني عشر جمادي الاخرة من سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م عزل الوزير نصير الدين ابا الحسن ناصر بن مهدي العلوي وحضر عنده ليلًا من شافهه بالعزل[٧٩] ويرى ابن ابي عذيبة ان العزل كان لسوء سيرته فكتب الى الخليفة يقول اني قدمت ها هنا وليس لي درهم ولا دينار سوى ما يحصل لي من نعمة امير المؤمنين من الاموال والاعلاق النفيسة ما قيمته خمسمائة الف دينار وسال الخليفة بأن يؤخذ منه الجميع ويفرج عنه فخرج اليه الجواب : « ما انعمنا عليك بشيء ونوينا استعادته منك ولو كان ملء الارض ذهباً وانت في امان الله واماننا ما لم يبلغنا عنك ما يستوجب غير ذلك غير ان اعداءك كثيرون فاختر لنفسك موضعاً تنتقل اليه فاختار ان يكون تحت ظل الخليفة كي لا يتمكن منه اعداؤه ففعل ذلك »[٨٠]

اما الحموي فقد ذكر سبب عزل الوزير نصير الدين انه سيّر ثلثمائة حمل عليها قواصر التمر واودع كل حمل الف دينار ، فطلب شيئاً من ذلك التمر ياكله فامتنع بعض ولاة الخليفة فالح عليهم فاخذ حملين وفتح قوصرة تمر وفرقها على الجماعة[٨١] وهنا تعددت الروايات في سبب عزله ، فقيل انه اساء السيرة مع اكابر حاشية الخليفة ومنهم امير الحاج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع ، وقيل انه يريد ان لا يبقى في خدمة الخليفة احد من مماليكه وزعمت رواية انه يريد أن يدعي الخلافة لنفسه واكثر الناس القول فيه فعزله الخليفة سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م .[٨٢]

---

(٧٨) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٥ .

انظر : سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٤٧٦ و ٥٢٥ .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٤٤ و ١٦٧ و ١٦٨ ــ ١٦٩ .

الذهبي ، العبر . حـ ٥ ، ص ٧١ .

(٧٩) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

انظر : ابن خلدون ، العبر ، مج ٣ ، ق ١ ، ص ص ١٠٩٥ ــ ١٠٩٧ .

(٨٠) انسان العيون ، ورقة ٢ و ٣ .

(٨١) التاريخ المنصوري ، ورقة ١٣٢ ب .

(٨٢) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج ٥ ، حـ ١ ، ص ص ٦١ ــ ٦٢ .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٩ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٣ .

ويبدو لي ان سبب العزل لم يكن لذنب ارتكبه ، فهو من اصل شريف ، وبيت كريم ، خدم الخليفة الناصر لدين الله ، وكان متمكناً في وزارته ، حسن السيرة قريباً من الناس ، حسن اللقاء لهم ، وانما كثرت الاقوال من اعدائه ، وحبكت الوشايات ضده ، الامر الذي دفع الخليفة الناصر لدين الله الى عزله . وهذا امر طبيعي يحصل لاي كان كان خصوصاً اذا ارتقى منصباً ادارياً بارزاً في الدولة وله خصوم واعداء .

ومهما يكن فقد استناب الخليفة الناصر لدين الله صاحب الديوان ابا البدر محمد بن أمسينا الواسطي يوم الخميس ثاني جمادي الاولى ، وجلس في الديوان ، ومارس عمله وفي العاشر منه خلع عليه الخليفة وقد توجه ابن امسينا الى تستر لاصلاح حال الامير قطب الدين سنجر حاكم بلاد الاحواز[٨٣] وعاد في ربيع الاول من سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م وبعد مدة عزل عن نيابة الوزارة[٨٤] . ثم استناب الخليفة ابا الحسن بن محمد[٨٥] الذي كان بصيراً بأمور الملك خبيراً بادوات الرئاسة عالماً بالقوانين عارفاً باصلاح الدواوين خبيراً بالحساب ريان من فنون الادب حافظاً لمحاسن الاشعار راوياً لطائف الاخبار ، جاء الى بغداد صحبة وفد الى ديوان الخلافة فاعجب به الخليفة الناصر لدين الله فعين في كتابة الانشاء ثم تولى الوزارة وخلع عليه الخليفة خلعة الوزارة وتمكن في الدولة تمكناً لم يتمكن منه احد وقد جمع بين الكتابة والوزارة اكثر من ٢٥ سنة[٨٦] وما زال على سداد من امره ، وزر لثلاثة خلفاء الناصر لدين الله والظاهر ثم المستنصر ومات في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م[٨٧].

---

(٨٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ص ٢٦٢ و ٢٦٤ .

(٨٤) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ١٢ ، ص ٢٨٧ .

(٨٥) هو محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز مؤيد الدين ابو الحسن وزير من اكابر الكتاب نقل الى دار الوزارة سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م واستمر في خلافة الناصر لدين الله حيث قربه ورفع قدره ، وكان اسمه مكين الدين قبل توليه نيابة الوزارة للخليفة الناصر لدين الله .

ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص ٢٣ .

الزركلي ، الاعلام ، حـ ٧ ، ص ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٨٦) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٥٣ و ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

انظر : ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج اليه ، حـ ١ ، ص ٣٢ .

ـ شهاب الدين احمد النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٠٥ .

ـ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٢٦ .

(٨٧) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٧ .

نستخلص مما سبق ان الوزارة لم تصل الى الدرجة التي كانت عليها في صدر العصر العباسي الاول فضلًا عن استحداث منصب جديد (نائب الوزارة) في عهد الخليفة الناصر لدين الله وقد اشترطت في الوزير ونائبه صفات منها العلم والمعرفة بالدواوين فضلًا عن الثقافة العامة حتى وصل الى قيادة الجيش ونشر سلطان الخلافة على المناطق التي فتحوها ويعد الوزير مؤيد الدين بن القصاب من هذا الطراز من الوزراء .

ويمكننا ان نجعل اسماء وزراء الخليفة الناصر لدين الله ونوابه في السرد الآتي :

١ ـــ ظهير الدين ابن العطار	٥٧٥ هـ/ ١١٧٩ م
٢ ـــ داؤد بن سليمان بن ساورس	نيابة الوزارة
٣ ـــ ابو المظفر محمد بن هبة الله بن النجادي	نيابة الوزارة
٤ ـــ ابو الفتح صدقة بن ابي الوضا محمد بن احمد بن صدقه	نيابة الوزارة
٥ ـــ محمد بن عبد الباقي بن الداريج	نيابة الوزارة
٦ ـــ ابو المظفر عبيد الله بن يوتس	وزارة
٧ ـــ علي بن النجادي	نيابة الوزارة
٨ ـــ سعيد بن علي بن حديدة الانصاري	وزارة
٩ ـــ ابو المظفر عبيد الله بن يوتس / للمرة الثانية	نيابة الوزارة
١٠ ـــ مؤيد الدين على بن محمد بن القصاب	نيابة الوزارة ثم الوزارة
١١ ـــ الحسن بن نصر بن الناقد المعروف بأبن قنبر	نيابة الوزارة
١٢ ـــ ابو الحسن ناصر بن مهدي العلوي	نيابة الوزارة ثم الوزارة
١٣ ـــ ابو البدر فخر الدين ابن امسينا الواسطي	نيابة
١٤ ـــ مؤيد الدين ابو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز	نيابة الوزارة ثم الوزارة

٣ ـــ الكتابة :

لما كانت مهام الوزير كبيرة ومتعددة ، كان لابد من تعيين موظفين كبار يساعدونه في ادارة شؤون الدولة ، ومن هنا جاءت وظيفة الكاتب الذي اصبح في الوقت نفسه من اكبر اعوان الخليفة والوزير .

والكتابة تلي الوزارة في المرتبة ، فقد كانت احد المناصب العالية التي كان الخلفاء لا يسندونها الا لمن لمسوا فيهم الكفاية والقدرة على معالجة الامور ، كما

كانت الخطوة الممهدة لنيل منصب الوزارة اذا ما حاز صاحبها رضى الخليفة[٨٨] . فاهمية الكتابة للدولة لا تقل عن اهمية الوزارة فالكاتب لسان الخلافة المعبر عن رغباتها يتوقف على حسن تعبيره وجودة اسلوبه حل الكثير من مشكلاتها[٨٩] وهناك من جمع بين الوزارة والكتابة ، ومنهم من انفرد بالوزارة دون الكتابة ، ومنهم من تولى الوزارة مرتين او اكثر[٩٠] فالوزير مؤيد الدين محمد بن محمد ابن عبد الكريم محمد بن برز ابرز مثل على ذلك كما بينا .

لقد اتفق مؤرخو النظم الاسلامية على صفات معينة رأوا ضرورة توفرها في من يتصدر لهذا المنصب . فاشترطوا الاسلام ، وفهم كتاب الله ، والحلم والتواضع وقوة العزيمة وسرعة الخاطر مع الرفق بالضعيف والانصاف للمظلوم .[٩١]

وسنتناول موضوع الكتابة في بحثنا عن الدواوين بما فيه من كتابة ديوان الانشاء وكاتب السلة .

٤ ـ الحجابة :

ظهرت هذه الوظيفة منذ نشوء الدولة العربية الاسلامية وهي خطة من الخطط السلطانية تختلف عند العرب عما هي عليه عند الامم الاخرى . وهي وظيفة يقوم صاحبها بحفظ باب الخليفة من دخول من لا يوثق بدخوله وتخشى[٩٢] غائلته فالحجاب من موظفي الدولة ومهنتهم تتطلب الوقوف في باب الخلفاء والوزراء وارباب الدولة لحجب الناس عن مقابلة المحجوبين وعدم ادخالهم الا بعد اخذ الاذن بذلك[٩٣] ، فالظروف ايضاً هي التي اوجدت هذا المنصب وقد استطاع الحجاب الاقوياء ان يقللوا من شأن الوزارة ، ويسلبوا بعض صلاحيات الوزير ، اذ كانوا يستبدون بالامور ، ويحولون دون تنفيذ اي قرار لا يوافقون عليه برضى واختيار .[٩٤]

---

(٨٨) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي ، حـ ٤ ، القاهرة ١٩٦٧ ، طـ ١ ، ص ٣٣٣ .

(٨٩) القزاز ، الحياة السياسية ، ص ٥٠ ؟ .

(٩٠) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، المقدمة ، ص ق .

(٩١) م . ن ص ص ٧٤ ـ ٧٩ .

(٩٢) دائرة المعارف ، بطرس البستاني ، حـ ٦ ، بيروت ، ص ص ٦٨٩ ـ ٦٩٠ .
انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، حـ ٢ ، ص ٤٢٦ .

(٩٣) بدري محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٦٣ .

(٩٤) الصالح ، النظم الاسلامية ، ص ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

←

وجاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه استحجب ابا طالب يحيى بن زيادة ثم عزله[95] واستحجب ابا الفتح بن صدقة ثم نقله الى نيابة الوزارة[96] ثم استحجب ابا الفتح احمد بن هبيرة وعزله واعاد ابن زيادة ثم نقله الى استاذية الدار ثم استحجب ابا شجاع بن محمد بن سعيد الظهيري ثم عزله ومن الملاحظ ان المصادر والمراجع تفتقر الى شرح مفصل عن هؤلاء الحجاب وذكر مواقفهم واعمالهم وتكتفي فقط بالاشارة الى ذكرهم وعزلهم الا القليل منهم فقد ذكر الكازروني والاربلي ان الخليفة الناصر لدين الله استحجب ابا القاسم الحسن بن نصر بن الناقد الى ان نقله الى صدرية المخزن واسحجب ابا جعفر المبارك حسن بن علي بن احمد ثم عزله[97] ، واستحجب ابا جعفر محمد بن محمد بن الناعم الى ان عزله سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م وولى عوضه ابا القاسم قثم بن طلحة الزينبي المعروف بابن الاتقى فصرف عن الحجبة الى ان توفي سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ،[98] واستحجب ابا القاسم الفضل بن يحيى بن عبد الله العلوي الموصلي[99] ثم عزله[100] ، واستحجب ابا علي طلحة بن عبد الله بن حمزة بن طلحة ثم عزله في جمادى الاولى من سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ولم يستحجب احداً بعده الى ان توفي الخليفة الناصر لدين الله[101]والحجاب لم يكونوا من الخدم او العسكر بل كانوا في الاغلب من الادباء والعلماء ومن العوائل البارزة في المجتمع ،لذلك كانوا ينقلون من الحجبة الى دواوين اخرى احياناً[102] . وعلى سبيل المثال عز الدين صدقة بن صدقة الذي رتب نائب

← حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، حـ ٤ ، ص ٣٣٥ .

(٩٥) الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٤ .

(٩٦) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ .

(٩٧) الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٤ .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ .

(٩٨) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ١١٨ وص ص ١٣٩ ــ ١٤٠ .

(٩٩) تولى حجبة باب النوبي وخلع عليه واسكن دار ابن علي بدرب فراشا .

(لم يذكر هذا الحاجب في الخلاصة مع حجاب الخليفة الناصر لدين الله) ، ص ٢٨٤ .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٢٨ .

(١٠٠) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ .

(١٠١) الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٤ .

(١٠٢) بدري محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٦٤ .

وزارة ، وكان حاجباً بباب النوبي ، وخلع عليه الخليفة خلعة شريفة[103] ، وممن تولى حجبة الباب النوبي ابن عون الدين بن هبيرة حيث رتب حاجباً له سنة (٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)[104] وابو جعفر المبارك بن علي بن احمد بن محمد الناقد تولاه في يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الاخرة من سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م الى ان عزل يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان من سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩[105] وكذلك تولى علي بن حمزة ابو الحسن البغدادي الكاتب حجابة الباب النوبي سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م[106] وممن تولى حجبة هذا الباب ابو الفتح ابن الصيقل الهاشمي ، الا انه اساء التصرف ، باخذ الاموال من الناس فعزل بعد ان حوسب في الديوان امام الذين اخذ إموالهم . وبعد عزله تولى ابو المعالي ابن الكنيا الهراسي ثم عزل بعد ان مكث نحو ٤٠ عاماً ورتب ابو القاسم علي بن محمد بن هبة الله بن الصاحب[107] وكان الابن يرث اباه احياناً في حجبة الباب النوبي كما حدث لابن الصاحب الذي توفي سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م فتولى ابنه حجبة الباب[108] وكذلك احمد بن المظفر بن يحيى بن هبيرة الوزير ابو الفتح وكانت ولايته في اواخر سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م[109] اما الواجبات التي يقوم بها حاجب الباب النوبي فهي ضبط الامن واخماد الفتن واحلال الهدوء والسلام في بغداد[110] وكان للحجاب رئيس يسمى حاجب الحجاب .[111] ويذكر الايوبي بان ابا السعود جعفر بذل الفا وخمسماية دينار على ان يكون حاجب الحجاب فأذن له في ذلك . وكان حاجب الحجاب يومئذ بهاء الدين ابو الفتح ابن الداريج[112] ثم رتب زعيم الدين ابو المعالي احمد بن جعفر حاجباً للحجاب بديوان الخلافة ، في حين نرى ابا جعفر احمد بن

---

(١٠٣) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٢٠٥ .

(١٠٤) م . ن

(١٠٥) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٨٣ .

(١٠٦) الذهبي ، العبر ، جـ ٤ ، ص ٣٠٨ .

(١٠٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، حـ ١٠ ، ص ١٦١ .

(١٠٨) م . ن ، ص ٢٢٧ .

(١٠٩) بدري محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٧١ .

(١١٠) م . ن ص ١٧٣ .

(١١١) حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، حـ ١ ، ص ٤٠٤ .

(١١٢) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٦٩ .

جعفر الذي رتب اولاً حاجب الحجاب يبذل مالاً على ان يولى صدرية المخزن فتم له ذلك ، لكن لم تطل ايامه فتوفي في عنفوان شبابه . ثم رتب رضي الدين عمر بن ابي القاسم التبريزي حاجب الحجاب بديوان الخلافة ، وخلع عليه واسكن في دار بدرب السلسلة مجاور المدرسة النظامية.(١١٣)

وهناك وظيفة اخرى هي وظيفة امير حاجب(١١٤) فهي اعلى من رتبة حاجب الحجاب(١١٥) . لكن لم ترد لها الا اشارة عابرة وهذا يعني انها مورست مدة محدودة .

نستخلص مما سبق ان منصب الحجابة(١١٦) اوجدته الظروف والمستحدثات التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية بعيد قيامها . وبمرور الايام علت مرتبته حتى استطاع الاقوياء من الحجاب التدخل في امور الدولة وتوجيهها وفق مصالحهم الخاصة ، والاستبداد بالنفوذ احياناً ، دون الوزير ، وتفرده ببعض ما يعمله الوزراء .

ثانياً ـــ الشؤون الادارية

ادارة اقاليم الدولة العباسية :

ترسل الخلافة ولاة لادارة شؤون الاقاليم التابعة لها ، وكان منصب الوالي من المناصب الرفيعة في الدولة العربية الاسلامية لذلك كانت الخلافة تدقق كثيراً باختيار الولاة .

واتبع الخليفة الناصر لدين الله اسلوباً معيناً في اختيار الولاة اذ كان يشيع بين الناس عن رغبته في اختيار شخص ما لاحدى الولايات ، فيتناقل الناس محاسنه ومساوئه . وكان اصحاب الاخبار ينقلون للخليفة تباعاً ما يقوله الناس ، وعندئذ تتكون لدى الخليفة معلومات وافية عن الشخص المطروح اسمه . وفي ضوء ذلك يتخذ الخليفة قراره ، فيولي من تكون سيرته مرضية ، ويعرض عن الذين تشوب سيرتهم بعض الشوائب.(١١٧)

وقد مارس العمال السلطة بانفسهم ، وكانوا يعهدون بها الى نواب عنهم وفي ضوء هذه الحالة فان امامة الصلاة والخطبة تحول الى الامام ، وجباية الضرائب الى

---

(١١٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٤٤ ، ١٢٧ ، ١٤٥ .

(١١٤) حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، حـ ١ ، ص ٢٠٦ .

(١١٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، حـ ١٠ ، ص ١٩٤ .

(١١٦) الحجابة من الحاجب ويمثل اليوم ما يقوم به مدير التشريفات .

(١١٧) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٩ .

عامل معين ، وامارة الجيش والادارة العامة الى امير،[118] وبرجت الخلافة على ان تجمع بيد ولاتها سلطة الحرب والخراج فكان شمس الدين باتكين امير البصرة ثم أربل والامير طاشتكين زعيم الاحواز ومن بعده قطب الدين سنجر الناصري ويجمعون بين الحرب والخراج[119] ، وكانت الخلافة تطلق لقب الزعيم عادة على الولاة الذين يجمعون بين سلطتي الحرب والخراج .[120]

ويبدو ان الخليفة الناصر لدين الله فضل الاخذ بنظام المركزية في ادارة معظم الولايات فقد كان عدد الولاة الذين جمعوا في ايديهم الحرب والخراج قليلًا جداً .

فكانت الخلافة في بعض الاحيان تختار للحرب اميراً وتعين لشؤون المال بعض كبار الموظفين الذين تولوا ادارة (صدرية) ديوان الزمام[121] . كما ان الخلافة اتخذت اسلوباً آخر في ادارة ولاياتها هو الاقطاع فكانت تقطع بلاداً معينة لبعض ولاتها على ان يحمل اليها مبلغاً معيناً من المال سنوياً وهذا الاقطاع قد يكون ادارياً ، اي ان المقطع[122] يتولى شؤون الادارة فقط مثل جمال الدين قشتمر في رامهرمز[123] . وقد يكون الاقطاع مالياً فقط اي يقوم المقطع بتحصيل الاموال ولا علاقة له بالادارة مثل سيف الدين طغرل الناصري الذي اقطع البندنيجيين واللحف والبلاد الجبلية[124] ومن المرجح ان تعميم الاقطاع في هذه الحقبة هو الذى ادى الى استحداث وظيفة المشرف فهي وظيفة مالية .[125]

---

(١١٨) موريس . غ ، النظم الاسلامية ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ١٤٩ .

(١١٩) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ص ١٨٦ ، ٢٠٦ .

(١٢٠) م . ن ص ٢٦٥ .

(١٢١) اشار الدكتور مصطفى جواد في مقدمة تحقيقه لكتاب الجامع المختصر الى ان لكل بلد مهم ديوان يعين له صدر ورتبته تسمى الصدرية وعليه مشرف ، ص ظ .

(١٢٢) المقطع موظف مسؤول عن شؤون الادارة وحفظ الامن والنظام في الولاية ويدفع الى خزينة الدولة مبلغاً من المال سنوياً ويقدم المساعدات العسكرية لها وقد اقام بعض هؤلاء المقطعين ببغداد وكان المقطع يبعث من قبله شخص ينوب عنه في الولاية .

الايوبي ، المضمار ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ ، ١١٨ .

انظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، حـ ٣ ، ص ١١٣٧ .

(١٢٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٠٦ .

(١٢٤) م . ن ص ٢٩٣ .

(١٢٥) عبد القادر سلمان المعاضيدي ، واسط في العصر العباسي ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م ، ص ١٤٢ .

وقد تستعين الخلافة لادارة المدن الصغيرة او القرى بالشحنة[126] الذي يتولى شؤون الادارة وحفظ الامن ، ففي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م اعطى سعود الخادم شحنكية دجيل ومناطق من تكريت وكان الناظر بدجيل زعيم الدين بن الجلال وقد كبرت منزلة سعود وتقدم عند الخليفة ، واعطي اقطاعات كبيرة في بلاد واسط مع شحنكية دجيل[127] فحصل من ذلك اموالاً جزيلة[128] ، كما رتب الامير قطب الدين ابو منصور طغرل بن عبد الله التركي الناصري شحنة في عهد الخليفة الناصر لدين الله واقطع داقوقا فتوجه اليها واقام فيها واحبه الناس لحسن سيرته ، كما رتب الامير فخر الدين ابو المظفر أيدمر بن عبد الله القفجاقي الناصري شحنكية بغداد في عهد الخليفة الناصر لدين الله.[129]

وكانت الخلافة تستعين بالحماة لحفظ الامن والسيطرة على المناطق العشائرية في السواد والبلاد الفراتية وكانت تختار الحماة من بعض رؤساء القبائل العربية القوية كما هو الحال بالنسبة لزياد بن عبيد امير خفاجة.[130]

١ ــ الولاية على الامصار في خلافة الناصر لدين الله :

كان الخليفة العباسي يختار عمال الاقاليم بنفسه[131] واذا شك في صدق احد عماله او في ولائه له لم يكن عليه الا ان يامر بمصادرة املاكه كلها . وتسمية الامير بالعامل توحي بأن سلطته العملية واسعة فهو يعمل كل ما يراه الافضل في كل مرفق من مرافق الاقليم الذي يديره .

وقد وضع الفقهاء اسس نظرية الامارة على البلدان وحددوا انواعها من وجهة

---

(١٢٦) انظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٦٢٣ .

(١٢٧) هو قناة من نهر دجلة كان ابو جعفر المنصور حين بنى بغداد اخرج من دجلة دجيلا ليسقي تلك القرى كلها حفرها من دجلة في عقود وثيقة وسماها دجيلا .

الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٣٤ .

انظر : الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٨١ .

(١٢٨) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٨١ .

(١٢٩) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، جـ ٤ ، ق ٤ ، ص ٦٥١ و ٧٣٨ .

(١٣٠) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٤٣ .

(١٣١) حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، القاهرة ، ص ١٦٤ .

النظر الشرعية فقد ذكر الماوردي[١٣٢] انواع الامارة واختصاص كل امير فقال : (واذا قلد الخليفة اميراً على اقليم او بلد كانت امارته على ضربين عامة وخاصة) .

ففي عهد الخليفة الناصر لدين الله كان على ولاية مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فبقي حتى توفي بدمشق سنة ٥٨٩ هـ / ١٢٠٢ م وكانت مدة ملكه بالديار المصرية اربعاً وعشرين سنة ثم تعاقب حكمها من بعده ابناؤه الملك العزيز عثمان والملك العادل ابو بكر بن ايوب وبقي الى ما بعد خلافة الناصر.[١٣٣] وكان يتمتع بصلاحيات واسعة في ادارة شؤون ولايته . كما انه حاز ثقة الخليفة لمواقفه البطولية في صد الغزو الاوربي .

اما ولاية دمشق فكانت ايضاً مع السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وقرر منحها اخاه سيف الاسلام طغكتين بن ايوب . في حين كانت ولاية حلب بيد عماد الدين زنكي الا ان السلطان صلاح الدين تسلمها منه في سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وسلمها لابنه الملك الظاهر غازي ، ثم سلمها السلطان صلاح الدين لاخيه العادل ابي بكر ثم اعاد ابنه الظاهر غازي وبقيت بيده الى ما بعد خلافة الناصر لدين الله .[١٣٤] وكانت حماة وحمص وبعلبك بيد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ايضاً واستمرت تتناقل ما بين ابنائه الي ما بعد خلافة الناصر لدين الله . في حين كانت طرابلس والكرك بيد الافرنج وقد تمكن السلطان صلاح الدين من انتزاع الكرك من ايدي الافرنج سنة ٥٨٤ هـ / ١١٩٧ م وقرر فيها اخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب .[١٣٥]

ومن هنا نلمس ان صلاح الدين الايوبي كان يمتلك صلاحيات واسعة في ادارة شؤون اقليم بلاد الشام ومصر ، وانه كثيراً ما كان يتصرف في ادارته هذه دون الرجوع الى الخليفة لاخذ موافقته .

وكانت مكة بيد داوود بن قليقة فبقي يتداولها هو واخوه شكر حتى مات داوود سنة ٥٨٩ هـ / ١٢٠٢ م فملكها الملك المسعود اقسيس (اقسز) وبقي فيها الى ما بعد خلافة الناصر لدين الله . اما المدينة فكانت بيد سالم بن قاسم ومن بعده ابنه شيحة وبقي الى ما بعد وفاة الخليفة الناصر لدين الله ، واما اليمن فكانت

---

(١٣٢) الاحكام السلطانية ، ص ٣٠ .

(١٣٣) القلقشندي ، مآثر الانافة ، حـ ٢ ، ص ٦١ .

(١٣٤) القلقشندي ، مآثر الانافة ، ص ٦٢ — ٦٤ .

(١٣٥) م . ن ص ص ٦٤ — ٦٦ .

مفوضة الى تورانشاه بن ايوب وهو بالاسكندرية ونائبه خطار باليمن الى سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م فوجه اليها السلطان صلاح الدين اميراً ، استولى عليها وعزل خطار نائب اخيه تورانشاه.[١٣٦] واما خراسان فكانت بيد خوارزمشاه محمد بن تكش بن ارسلان بن اتسز بن محمد انوشتكين وغزنة بيد الغز المتغلبين عليها ، اما افريقية فكانت بيد ابي يعقوب يونس بن عبد المؤمن.[١٣٧]

ومن الملاحظ ان هذه المعلومات لم اجدها في مصدر آخر سوى القلقشندي ، كما انه لا يوضح في كتابه (مآثر الانافة في معالم الخلافة) من الذي عين هؤلاء الولاة على هذه الاقاليم او تلك واكتفى بالاشارة اليهم فقط .

٢ ــ الدواوين :

وضع الخليفة عمر بن الخطاب (رض) اسس التنظيم الاداري للدولة الاسلامية بادخاله نظام الدواوين[١٣٨] ، وعبر الماوردي عن اهمية خطوة عمر بن الخطاب في استحداث الديوان لكونه (موضعاً لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.[١٣٩] فالخليفة من الناحية الرسمية يتولى شؤون الحكم ولكنه يمارس سلطاته في اكثر الاحيان بوساطة الوزير الذي يتولى النظر في شؤون الدواوين كلها وهي دواوين الزمام ، والخراج الذي اصبح يسمى بالمخزن ، والانشاء ، والقضاء ، وعرض الجيش ، والتركات ، والجوالي ، والابنية ، والمقاطعات ، وكان يسمى سابقاً ديوان الضياع والنفقات ، وديوان البريد.[١٤٠]

فديوان الخلافة يضم بقية الدواوين ويسمى احياناً بالديوان العزيز ، وممن تولى الاشراف في هذا الديوان عز الدين ابو الفرج عبد الله بن محمد بن احمد بن الخلال الانباري وعزل في سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م ، ومن موظفي الديوان كاتب السلة[١٤١] ، وممن تولى هذه الوظيفة ابو غالب بن زطينا المسلم وكان نصرانياً ،

---

(١٣٦) القلقشندي ، مآثر الانافة ، ص ص ٦٦ ــ ٦٨ .

(١٣٧) م . ن ص ص ٧٠ ــ ٧٣ .

(١٣٨) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٦ .

انظر : الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٩٩ ، ابن خلدون ، المقدمة ، حـ ٢ ، ص ٤٣٠
(١٣٩) م . ن .

(١٤٠) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ١٨٤ ومقدمة المحقق ص ظ ، ض غ .

(١٤١) م . ن ص ٢٢٩ . وقد سبق ان اشرنا الى معنى السلة .

فاصدر الخليفة الناصر لدين الله امراً بأن لا يستخدم في الديوان كتاب من النصارى ولا احد من اهل الذمة لانه رأى في ذلك استصغاراً للمسلمين واستهانة بهم ، ولذلك اسلم ابو غالب هذا وتولى عمله كاتب سلة الديوان.[١٤٢] وممن تولى هذه الوظيفة الجمال بن موسى الذي اعتقل في الديوان في شعبان سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ثم افرج عنه في رمضان من السنة نفسها ولم يستخدم بعدها ثم رتب بدله كاتب السلة تاج الدين ابو سعد بن حمدون وتولى بعده الحسن بن محمد بن ابو سعد بن ابي المعالي الكاتب وتوفي سنة ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م[١٤٣] .

ومن موظفي ديوان الخلافة (النجاب) وكانت مهمتهم نقل الاوامر في اي وقت سواء كان ليلاً او نهاراً الى اطراف الدولة العباسية لذلك كان احدهم يبيت بباب الديوان وتحت رأسه راحلته وزاده ونفقته وقد ودع اهله فان عرض في الليل امر مهم توجه فيه . ويبدو انه مرتبط بالوزير ، ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه استدعى وزيره مؤيد الدين بن محمد بن عبد الكريم برز وطلب منه ان يرسل في احضار ولدي ولده (الملك المعظم) حيث كانا في الاحواز ، لذلك بادر الوزير لاحضار احد النجابين يأمره بذلك.[١٤٤]

ومن الدواوين المهمة ديوان الانشاء ، والمراد به صياغة الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمساحات والاطلاقات ومناشير الاقطاعات والامانات وما في معنى ذلك ، وتستلزم كتابة الانشاء زيادة العلم وغزارة الفضيلة وذكاء القريحة وجودة الروية ،[١٤٥] وصاحب ديوان الانشاء هو الذي يتلقى المكاتبات الواردة ويقرؤها على الخليفة ويجيب عليها بنفسه احياناً . فيجب على صاحب هذه الوظيفة ان يكون متيقظاً لما يرد على الخليفة من نواحي الدولة فانه المعتمد عليه والمعول في امره.[١٤٦] وممن تولى هذا الديوان علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الانباري ابو منصور بن ابي الفرج بن ابي عبد الله الكاتب تولى الكتابة

---

(١٤٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ص ١٦١ ــ ١٦٢ .

الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٧٣ .

(١٤٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ٢٢٩ .

شهاب الدين ياقوت عبد الله الحموي ، معجم الادباء ، حـ ٣ ، ط ٢ ، مصر ١٩٢٧ ، ص ٢١٥ .

(١٤٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٦١ .

(١٤٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ ١ ، ص ص ٥٤ ــ ٥٥ .

(١٤٦) م . ن ص ١١٤ .

بديوان الانشاء في ذي القعدة سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩ م ، ولم يزل على ولايته الى ان توفي يوم السبت الخامس والعشرين من جمادي الاخرة سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م [١٤٧] ثم تولى هذا الديوان اسفنديار بن الموفق بن ابي علي البوسنجي الاصل الواسطي المولد البغدادي الدار في محرم ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨ م ثم صرف عنه في رمضان من السنة نفسها[١٤٨] ولم يرد اي شيء عن سبب صرفه بالرغم من انه كان وافر الفضل حسن العبارة جيد الترسل . ثم تولى بعده كتابة ديوان الانشاء محمد بن علي بن احمد بن القصاب الملقب مؤيد الدين وكان ذا رأي وافر ومعرفة بالكتابة ويبدو انه اثبت مقدرة وكفاءة في عمله مما ادىا الى استيزاره سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣ م ثم توفي في سنة ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥ م[١٤٩] ومن الملاحظ ان المصادر لا تشير الى الاعمال التي قام بها هؤلاء الكتاب سوى ذكرهم على هذه الصورة فقط .

ثم تولى هذا الديوان قوام الدين ابو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله ابن علي بن ابي الفرج بن القاسم بن زيادة الكاتب المنشيء وكان قبل توليه ديوان الانشاء وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك ثم رتب حاجباً ، ثم قلد النظر في المظالم ، وبعدها رتب استاذ دار ، لكنه عزل فعاد الى واسط ، الا انه سرعان ما استدعي وقلد ديوان الانشاء في شهر رمضان سنة ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥ م ، وبعد مدة رد عليه النظر في ديوان المقاطعات ، وظل محتفظاً بهذه الوظيفة الى ان مات في سنة ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧ م . وكان حسن السيرة ، محمود الطريقة ، متديناً ، وهو الذي كتب الكتاب عن الخليفة الناصر لدين الله الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وانكر عليه اشياء منها تلقبه بالناصر وامير المؤمنين .[١٥٠]

وممن تولى هذا الديوان مسكين الدين ابو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن بزر ورقي ونقل في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م الى دار الوزارة المقابلة

---

(١٤٧) البغدادي ، التاريخ المجدد لمدينة السلام ، ورقة ٢١ .
انظر الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٣٥ .
(١٤٨) ابن الدبيثي ، التاريخ المذيل به ، حـ ٢ ، ق ١ ، ورقة ١٢٤ ب .
(١٤٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٤٥ .
(١٥٠) ابن ابي عذيبة ، انسان العيون ، ورقة ١٥٨ ـ ١٥٩ .
انظر : ابن الاثير ، الكامل ، حـ ١٢ ، ص ١٣٨ .
الذهبي ، العبر ، حـ ٤ ، ص ٢٨٤ .

لباب النوبي ولقب مؤيد الدين ونفذ الامور الديوانية .[151]

اما ديوان الزمام ويسمى الديوان ، وهو مجلس الوزير او نائب الوزارة والمتصل بينه وبين الامة ، وبينه وبين الخليفة[152] وممن تولى هذا الديوان جلال الدين ابو محمد الحسن بن مسعود خليد وخلع عليه في دار الوزارة .[153] وتولى الاشراف على هذا الديوان داوود بن يونس بن الحسين الانصاري البغدادي الكاتب .[154] ففي سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م خلا ديوان الزمام ببغداد من نائب وزارة وكان الخليفة قد فوض الامور باسرها الى استاذ الدار ابن الصاحب وجعل الاختيار اليه فيمن يرتب ويعزل .[155] ثم تولى احمد بن علي المعروف بابن امسينا ديوان الزمام سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م ، وقد استقل بالامور الديوانية ، وتولى اشغال الامراء واستمر ابن امسينا متولياً ديوان الزمام الى سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م حيث رتب نائب وزارة[156]

أ ــ ديوان التركات الحشرية[157]

والمعنى الاصطلاحي للتركات الحشرية هي التركات التي لا وارث لها فتصبح ملكاً للدولة ، اي (لبيت المال)[158] وممن تولى هذا الديوان خلال الحقبة موضوع البحث ، ابو البدر بن حيدر الذي وصف بانه كان شاباً لديه فضل وتميز وكتابة ، وقد توفي سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م .[159]

ب ــ ديوان الجوالي :

جمع جالية وهي الجزية التي تؤخذ من اهل الذمة على رقابهم في كل سنة . وممن تولى النظر في هذا الديوان ابان خلافة الناصر لدين الله ابو نصر المبارك بن

---

(١٥١) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٨٦ .

(١٥٢) م . ن ، ص ظ .

(١٥٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٨٦ .

(١٥٤) ابن الدبيثي ، التاريخ المذيل به ، حـ ٢ ، ق ٢ ، ورقة ٤٦ ب .

(١٥٥) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٢٠٥ .

(١٥٦) ابن الدبيثي ، التاريخ المذيل به ، جـ ١ ، ق ١ ، ورقة ٢٠ آ .

(١٥٧) الحشر بمعنى الموت ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، بيروت ، ص ١٩٠ .

(١٥٨) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١٠٧ .

(١٥٩) م . ن .

محمد الفرش البغدادي . وتتركز مهمة رئيس ديوان الجوالي بالمواليد الجديدة ، وكذلك القادمين ، من اهل الذمة من خارج البلاد . عليه ان يتفقد احوال الناشئين في كل حقبة من الزمن لمعرفة من بلغ من الصبيان[١٦٠] لكي يستوفي منهم ضريبة الجزية التي تقع عليهم عندئذ .

جـــ ديوان الطبق :

مهمة هذا الديوان الاشراف على دور الضيافة الموجودة في بغداد والتي توزع فيها الاطعمة على الفقراء . وممن تولى النظر في هذا الديوان خلال عصر الناصر لدين الله اسماعيل بن علي بن الحسين ابو محمد الفقيه وقد نمت سيرته وعزله الخليفة وحبس الى ان مات سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م[١٦١]

د ـــ ديوان الابنية :[١٦٢]

ممن تولى هذا الديوان ابن الشيخ يونس بن عبيد الله حيث كان نائباً لاستاذ الدار في ديوان الابنية ، الا ان المصادر لا تشير الى اسمه ، وكذلك رتب تاج الدين ابو سعد بن حمدون مشرفاً في ديوان الابنية سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م[١٦٣]

ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه نقم على الامير سنقر الصغير فأمر بهدم داره واخذ امواله فطلبت ام الخليفة ان يعطيها موضع الدار لتبني رباطاً عليها فاجابها الى ذلك وامر استاذ الدار بان يأخذ من ديوان الابنية ما تحتاج اليه ويأتي بالصناع ويبنيه وهكذا بني الرباط في محلة المأمونية وسط السوق[١٦٤] ، وكان في نفس الخليفة على سنقر الصغير حقد من زمن ابيه لانه كان قد اتفق مع ابن العطار الا يرتبه خليفة واراد ان يرتب اخاه الامير ابا منصور بدلًا عنه ، ولما تولى الناصر

---

(١٦٠) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الارب في فنون الادب ، جـ ٨ ، القاهرة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م ، ص ٢٤٢ .

(١٦١) زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن البغدادي الحنبلي المعروف بابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، حـ ٢ ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م ، ص ص ٦٦ ـــ ٦٧ .

(١٦٢) لم اعثر على تعريف لهذا الديوان في المصادر التي رجعت لها ، لذلك نستنتج بان مهمة هذا الديوان هي الصرف والانفاق على الابنية المراد ترميمها واعادة بنائها بعد هدمها ويتم ذلك بموافقة الخليفة .

(١٦٣) الابوبي ، مضمار الحقائق ، ص ص ١٧٠ ـــ ١٧٢ .

(١٦٤) م . ن ، ص ٩٢ .

الخلافة قبض عليه ولاقى حتفه.[١٦٥]

ومما جاء عن هذا الديوان ايضاً ان الخليفة الناصر لدين الله دخل المدرسة النظامية ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، فرأى المدرسة غير نظيفة ، والديوان كذلك ، وارضها كثيرة التراب ، فاوعز بتنظيفها وترتيبها والصرف عليها من ديوان الابنية[١٦٦] ويمكننا القول ان هذا الديوان لم يكن موجوداً في العصر العباسي الاول ، اذ لم يرد اسمه من قبل ، ويعد من الدواوين المستحدثة في العصر العباسي الاخير .

هـ ـ ديوان المقاطعات :

يعني هذا الديوان بامر الاقطاعيات الممنوحة للامراء ، وتسجيلها وادارتها . وممن تولى النظر في هذا الديوان خلال عهد الناصر لدين الله ، قوام الدين ابو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زيادة ، وقد تنقل في عدة دواوين حيث عهد له اخيراً النظر على هذا الديوان ، وظل الى حين وفاته وكان حسن السيرة ، ومحمود الطريقة .[١٦٧]

و ـ ديوان الوقوف :

يعنى هذا الديوان بامر الاملاك التي يوقفها اصحابها للحرمين الشريفين (مكة والمدينة) ، وللمنفعة العامة وهو ديوان قديم .

جاء في حوادث سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٦ م انه كتب صفي الدين بن عمارة رقعة الى الخليفة الناصر لدين الله تحوي معلومات عن ارباب الاملاك بناحية بعقوبا وناحية بهرز ، وقد اخذوا جملة كبيرة من اموال الوقف ، وانه لو تقدم لمحاسبتهم لحصل من المال مبلغاً كبيراً . فارسل الخليفة الرقعة الى استاذ الدار ومنه الى نائب الوزارة جلال الدين بن صدقة فاحضر المحتسب ابن الرطبي واخذ العدول وارسلهم لمسح الاملاك هناك ، فجاء اهلها يستغيثون فطلب الخليفة من قاضي القضاة الاجتماع باصحاب الارض ومناقشتهم ، فان كان للدولة حق طلب تطبيق الشرع في ذلك والا فلا حاجة باملاك الرعية[١٦٨] الا ان الايوبي لا ينكر لنا نتيجة هذا المسح

---

(١٦٥) الايوبي ، المضمار ، ص ص ٩١ ـ ٩٢ .

(١٦٦) م . ن ، ص ١٧٠ .

(١٦٧) ابن ابي عنبية ، انسان العيون ، ورقة ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(١٦٨) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٢٠٧ .

وممن تولى هذا الديوان قاضي القضاة القاسم بن الشهرزوري وذلك في سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م عندما رد اليه النظر في وقوف المدارس جميعها والوقوف العامة[١٦٩] ، كذلك تولى النظر في هذا الديوان ابو عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان ، وكان فقيها عالما ، تولى الكتابة بدار التشريفات ، ثم رتب قاضي القضاة ورد اليه النظر في ديوان الحسبة ، والنظر في اوقاف المدارس والربط ، واستمر على ذلك حتى وفاة الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م[١٧٠]

٣ ــ دور الضرب ــ السكة

تعد دور الضرب من نواحي التقسيم الاداري ، ولفظة السكة هي الحديدة المتخذة للختم على الدينار والدرهم بما ينقش عليهما من صور او كلمات[١٧١] .

ودور الضرب هي المواضع التي كانت الحكومة تتخذها مراكز لسك النقود ، او ضرب العملة ، وتكون هذه المواضع في حواضر الاقاليم التي يقيم بها امراء الولايات ، حيث تكون الدواوين ، ومن خلالها ايضاً يمكن التعرف على السنة التي ضربت بها النقود لأول مرة فهي تبين التاريخ الذي اصبحت فيه هذه المدينة حاضرة للاقليم .[١٧٢]

المسكوكات التي صدرت في عهد الخليفة الناصر لدين الله :

تعد الحقبة من بداية خلافة الناصر لدين الله ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م الى ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م حقبة الاستقلال النقدي ، [١٧٣] اذ نالها النشاط وصارت تضرب ببغداد وحدها ، الا في بعض حالات استثنائية ،[١٧٤] وقد ورد ذكر الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين على نقوده النهبية المضروبة في مدينة السلام وفي السنوات ٥٨١ و ٥٨٤ و ٥٨٦ و ٥٩٠ و ٥٩٣ و ٥٩٦ ــ ٦٢٢ هـ .[١٧٥]

---

(١٦٩) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ٢٠ .

(١٧٠) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ ١٠ ، ص ص ٢٨٦ ، ٢٩٢ .

(١٧١) عبد الله بن الازرق ، بدائع السلك ، حـ ١ ، ص ٢٦٤ .

(١٧٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، حـ ٤ ، ٣٤١ .

(١٧٣) محمد باقر الحسيني ، الكنى والالقاب على نقود مدينة السلام / بغداد ، مجلة المسكوكات ، العددان ١٠ ــ ١١ ، (بغداد ــ ٧٩ ــ ١٩٨٠) ، ص ١٤٨ ــ ١٤٩ .

(١٧٤) عباس العزاوي ، تاريخ النقود العراقية ، بغداد ــ ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ص ١٧ .

(١٧٥) محمد باقر الحسيني ، ن . م .

وضرب دينار في مدينة السلام سنة ثلاث وتسعين وخمسماية في عهد الخليفة الناصر لدين الله وزنه ٣٫٢٠٠ غم وقطره ٢٧ ملم وقد جاء فيه [١٧٦]

مركز الوجه :

الامام
لا اله الا الله
وحده لا شريك له
الناصر لدين الله
امير المؤمنين .

الطوق الاول : لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

الطوق الثاني : بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام سنة ثلاث وتسعين وخمسماية .

مركز الظهر :

والدين
محمد
رسول الله
صلى الله عليه

الطوق : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وضرب : دينار بمدينة السلام سنة احدى عشرة وستماية وقد جاء[١٧٧] في مركز الوجه :

الامام
لا اله الا الله
وحده لا شريك له
الناصر لدين الله
امير المؤمنين

وذكر في الطوق الاول عبارة : بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة السلام سنة احدى عشرة وستماية .

---

(١٧٦) مهاب البكري ، الدينار العباسي في المتحف العراقي ، مجلة المسكوكات ، العدد ٧ لسنة ١٩٧٦ ، ص ٧٩ ، مديرية الاثار العامة ، بغداد .

(١٧٧) ابراهيم ارتق ، كتالوك مسكوكات متحف اسطنبول ، اسطنبول ــ ١٩٧٠ م ص ١٥٣ .

وذكر في الطوق الثاني عبارة : لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وجاء في مركز الظهر[178]

الحمد لله

محمد

رسول الله

صلى الله عليه

وذكر في الطوق عبارة

محمد رسول الله ارسله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين

كله ولو كره المشركون

وقد ضربت مسكوكات بانواعها ودنانير ودراهم وفلوس في اتابكيات الموصل واربل وسنجار وورد ذكر الخليفة الناصر لدين الله عليها لكونهم معاصرين لحقبة الخليفة .

فقد ضربت مسكوكة نحاسية لمسعود بن مودود اتابك الموصل ٥٧٦ — ٥٨٩ هـ .

الشكل (١) نقش في مركز الوجه صورة وجه آدمي في وضعية جانبية وحولها كتابات بالخط الكوفي لسنة الضرب ولكنها غير واضحة . اما الظهر فنقشت عليه العبارات الآتية :[179]

لا اله الا الله محمد

رسول الله الناصر

لدين الله امير المؤمنين

عدة الدنيا

والدين اتابك

مسعود

ارسلانشاه

---

(١٧٨) م . ن .

(١٧٩) عيسى سلمان ، المسكوكات المصورة ، مجلة المسكوكات ، عدد خاص ، جـ ٢ ، مج ١ ، مطابع الجمهورية ، بغداد ١٩٦٩ م ، ص ٢٢ .





مركز الوجه　　　　　　مركز الظهر

شكل رقم (١)

وفي عهد ناصر الدين محمود ٦١٦ ـ ٦٣١ هـ ضرب دينار في الموصل جاء في مركز الوجه منه(١٨٠) :

الامام
الملك　الناصر لدين الله　الاشرف
امير المؤمنين

في الهامش الداخلي بالموصل سنة سبع عشر وستماية
في الهامش الخارجي لله الامر
وفي مركز الظهر :

عز الدين
الملك　ناصر الدنيا والدين　الكامل
اتابك

في الهامش محمد رسول الله

وقد ضرب نقد نحاسي باسم اتابك اربل مظفر الدين كوكبري (شكل ٢) نقش على وجه هذه المسكوكة صورة اسد يركبه انسان ونقش تحت الاسد العبارة (ضرب

---

(١٨٠) محمد باقر الحسيني ، العملة الإسلامية في العهد الاتابكي ، دار الجاحظ ـ بغداد ١٩٦٦ م ، ص ٥٤ .



مركز الوجه



مركز الظهر

شكل رقم (٢)

باريل) بالخط الكوفي. اما الظهر فنقشت عليه العبارات الاتية وبالخط الكوفي :[١٨١]

محمد
الناصر لدين الله
امير المؤمنين عزّ
الدنيا والدين
ابو نصر مظفر
الدين كوكبرى

وزنه ٩ر٩ غرام وقطره ٢٨ ملم

وفي عهد اتابكية سنجار سنة ٥٦٦ ــ ٥٩٤ هـ ضربت دراهم نحاسية نكر في الوجه عبارة (الامام احمد) وفي الظهر بن زنكي الملك العادل العالم عماد الدنيا والدين زنكي بن مودود .[١٨٢]

---

(١٨١) عيسى سلمان، المسكوكات المصورة في مجموعة عبد الله شكر الصراف، مجلة المسكوكات، عدد خاص، حـ ٢، مج ١، ص ٢٠.
انظر: محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية، ص ٦٩.
(١٨٢) محمد باقر الحسيني، العملة الاسلامية، ص ٨٥.

ان ذكر (الامام احمد) على الدرهم النجاسي هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة (٥٧٥ ــ ٦٢٢ هـ) الذي عاصر الاتابك عماد الدين (اتابك سنجار) وفي سنة ٥٩٧ هـ ولاول مرة في تاريخ العملة الاتابكية بانواعها (الدنانير والدراهم والفلوس) يرد لقب ولي عهد الناصر لدين الله (عدة الدنيا والدين ابو نصر محمد) على عملة عز الدين مسعود.[183]

اما اتابكية الشام ففي العملة النحاسية ورد اسم الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة ٥٧٥ ــ ٦٢٢ هـ وكان تاريخ ضربها بين بداية حكمه ٥٧٥ هـ ووفاة الملك الصالح اسماعيل ٥٧٩ هـ ، اما مدينة الضرب فهي حلب التي كانت عاصمة اتابكية الشام.[184]

اما العملة التي ضربت سنة ٥٨٥ هـ ففي الوجه ذكر اسم الامام الناصر وفي الظهر الملك الناصر .

فمن الواضح ان الامام الناصر هو الخليفة العباسي الناصر لدين الله ٥٧٥ ــ ٦٢٢ هـ والملك الناصر هو صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٠ ــ ٥٨٩ الذي استولى على الموصل سنة ٥٨١ هـ.[185]

وفي سنة ٥٨٨ هـ ضربت في القاهرة عملة في عهد العزيز عماد الدين عثمان ذكر فيها عبارة لا اله الا الله ابو العباس الناصر لدين الله امير المؤمنين[186] .

وفي سنة ٥٩٥ هـ ضرب دينار بالاسكندرية ذكر عليه عبارة ابو العباس الناصر لدين الله امير المؤمنين.[187]

وفي القاهرة ضرب سنة ٥٩٦ هـ دينار عليه عبارة الامام احمد ابو العباس الناصر لدين الله امير المؤمنين.[188]

٤ ــ البريد :

اهتم العرب المسلمون بتامين طرق مواصلاتهم والعناية بها وكانت هذه احدى

---

(١٨٣) م . ن ، ص ١٠٩ .

(١٨٤) م . ن ، ص ١٢٦ .

(١٨٥) م . ن ، ص ١١٢ .

(١٨٦) ابن بعرة الكاملي ، كشف الاسرار العلمية ، ص ١٠٦ .

(١٨٧) ابن بعرة الكاملي ، كشف الاسرار العلمية ، ص ١١٣ .

(١٨٨) م . ن .

المميزات المهمة في تفوقهم العسكري على اعدائهم . وقد كان للطبيعة الجغرافية ايضاً دور مهم في تحديد وسائل الاتصال والانتقال ، لا سيما في اثناء نشاط حروب التحرير والفتوح الاسلامية وما بعدها .

ويقول صاحب الفخري : البريد هو ان يجعل خيل مضمرات[189] في عدة اماكن ، فاذا وصل صاحب الخبر المسرع الى مكان منها ، وقد تعب فرسه ، ركب غيره فرسا مستريحا . وكذلك يفعل في المكان الاخر ، والاخر حتى يصل بسرعة.[190] وعلى الرغم من ان البريد مهمته نقل الاخبار والرسائل وسرعة وصولها في ارجاء الدولة العربية الاسلامية ، الا انه كان يقوم بنقل الوفود والسفراء العرب والاجانب[191] وتشير النصوص التاريخية الى ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان ٤١ هـ / ٦٦١ م – ٦٠ هـ / ٦٨٠ م هو اول من نظم البريد في الاسلام[192] واستعان بذوي الخبرة في هذا المجال علماً بأن البدايات الاولى لتنظيم البريد قد وضعت منذ عهد الراشدين وخاصة ابان عهد عمر بن الخطاب (رض).[193]

اما بالنسبة لنشوء ديوان البريد فمن الباحثين من ينسب ذلك الى الخليفة معاوية بن ابي سفيان[194] وقد وردت اشارات عديدة تفيد بأن البريد تطور على يد عبد الملك بن مروان فقد احكم اعمال البريد[195] وادخل عليه تحسينات عديدة بحيث اصبح اداة مهمة في ادارة شؤون الدولة.[196]

وفي ضوء الظروف والحاجات المستجدة في العصر العباسي شهد نظام البريد

---

(١٨٩) الخيل المقطوعة الاذناب .

دائرة المعارف ، البستاني ، حـ ٥ ، ص ص ٤٠٠ – ٤٠١ .

(١٩٠) ابن الطقطقي ، ص ١٠٦ .

(١٩١) وكان البريد خاص باعمال الدولة في الاغلب ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، حـ ٤ ، ص ٣٤٣ .

(١٩٢) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٠٦ ، العسري ، الاوائل ، ص ١٩١ .

(١٩٣) خولة عيسى محمد صالح ، نشاة البريد وتطوره ، (بغداد – ١٩٨٥) ، ص ص ٤٩ – ٥٠ ، رسالة ماجستير مخطوطة .

(١٩٤) زيدان ، تاريخ التمدن ، حـ ١ ، ص ١٩٨ . انظر الدوري ، النظم الاسلامية ، حـ ١ ، ص ١٩٦ .

(١٩٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، حـ ٥ ، ص ١٧٦ .

(١٩٦) حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ٢١١ .

تطورات واسعة النطاق فاصبح له ديوان مركزي كبير في بغداد فزود بمحطات على طول الطريق وينسق اعماله من خلال ارتباطه بالدواوين الفرعية التابعة له في الولايات.(١٩٧)

ويذكر عن الخليفة الناصر لدين الله انه طلب من وزيره عبد الكريم بن محمد بن برز ارسال رجل الى حفيديه يأمرهما بالمجيء الى بغداد وكانا في الاحواز متوليين لها . اذ خاف عليهما مما قد يحدث في ولايتهما فاحضر الوزير نجاباً وشافهه بالمراسلة وامره بالكتمان ويبدو ان عملهم هذا يمثل بريداً خاصاً بالخليفة.(١٩٨)

٥ ـــ الشرطة :

نظام الشرطة قديم ، تعود نشأته البسيطة الى عصر الراشدين فكان العس نواة لهذا النظام .

فالشرطة لغة : تعني العلامة . ونقول اشرط فلان نفسه اعلمها له واعدها ومنها سمي الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها والواحد شرطي وشرطة.(١٩٩)

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان ما كتب عن الشرطة بالرغم من اهميتها قليل جداً وبشكل مقتضب للغاية اذا ما قورن ببقية النظم الاسلامية وان ما كتبه ابن خلدون في مقدمته عن الشرطة يكاد يكون مختصراً للغاية .

ومهما يكن فالشرطة هي الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة او الوالي في استتباب الامن الداخلي وحفظ النظام ، والقبض على الجناة والمفسدين وما الى ذلك من الاعمال الاحترازية التي تكفل سلامة الناس وطمانينتهم(٢٠٠) ومهمة صاحب الشرطة(٢٠١) تنظيم الامن الداخلي ، وتعيين الحراس لكل محلة من محلات بغداد والمدن الرئيسية . ويوزع الحراس على الدروب والازقة في الليل ، ليراقبوا الناس وبخاصة الذين هم موضع ريبة ، فيسمعوا اخبارهم وتحركاتهم ليرفعوها بدورهم الى

---

(١٩٧) قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٧٧ .
حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ص ٢١٠ ـــ ٢١٢ .
(١٩٨) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٦١ .
(١٩٩) محمد الشريف الرحموني ، نظام الشرطة في الاسلام الى اواخر القرن ٤ هـ ، ص ٣٣ .
(٢٠٠) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، حـ ٤ ، ص ٣٤٥ .
حسن ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ص ٢١٧ .
ـــ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، انظر الباب العاشر عن الشرطة ، ص ٦٥ وما بعدها .
(٢٠١) انظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، حـ ٢ ، ص ٦٧٥ .

ار الخلافة صباح كل يوم .[٢٠٢]

ويبدو ان هناك تعاوناً وثيقاً بين صاحب الشرطة وحاجب باب النوبي ، لذلك اتخذ باب النوبي محلًا لوجود صاحب الشرطة . وفي عهد الخليفة الناصر لدين الله كان حاجب الباب النوبي ايضاً يستعين بنائب الشرطة لاقامة الحدود[٢٠٣] وليست هناك فروق واضحة المعالم بين عمل صاحب الشرطة والشحنة وان كان الغالب في عمل الشحنة مقصوراً على مكافحة الفوضى والتصدي للفتن وكان يستعين بالعساكر للقيام بواجباته بينما اعتمد صاحب الشرطة على افراد من عامة القوم[٢٠٤] . وقد ميز مصطفى جواد في مقدمة تحقيقه لكتاب الجامع المختصر لابن الساعي الفرق بين عمل الشحنة وصاحب الشرطة وقد شبه فيه الشحنة بمدير الشرطة الخاص وان عمله يعتمد على السيف والتحقيق ، بينما اعتمد صاحب الشرطة في عمله على التحقيق والتفتيش والتجسس ، ويتفق الاثنان حيثما يحدث اضطراب وشغب عظيم كما تتفق اليوم الشرطة والاجناد اذا اضطربت الامور في دولة ما[٢٠٥] وممن تولى الشرطة في عهد الخليفة الناصر لدين الله ابو الحسن علي بن البورى ،[٢٠٦] لكن عزله الخليفة ورتب بدلًا منه ابا منصور بن الطحان وقد وصف بانه قبيح الافعال رديء السيرة سيء الطريقة محباً للظلم مؤثراً للاذى فارتاع الناس منه وقد مات سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م .[٢٠٧]

ومما يلاحظ ان المصادر تفتقر الى شرح مفصل عن الاعمال التي قام بها صاحب الشرطة سواء في الفترة موضوع البحث او في غيرها سوى الاشارة الى قيامه بالحفاظ على الامن الداخلي والقبض على الجناة والمفسدين وما الى ذلك من الاعمال الاحترازية .

وعن طريق الشرطة قام الخليفة الناصر لدين الله باراقة الخمور وكسر الملاهي ولوازم اللهو واللعب اذ تولى صاحب الشرطة تنفيذ اوامر الخليفة في هذا الصدد فعمر

---

(٢٠٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٤٦ .

(٢٠٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٠ ، ٤٠ ، ١١٦ ، ١٣٢ .

(٢٠٤) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١٤٣ ، ١٥٠ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ .

(٢٠٥) مصطفى جواد ، مقدمة الجامع المختصر ، لابن الساعي ، جـ ٩ ، ص يب .

(٢٠٦) منسوب الى قرية بورى قرب عكبرا .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١١٦ .

(٢٠٧) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١١٦ ، ١٣٢ .

البلاد ويسط الارزاق وقصدت الناس بغداد وتبركوا به .[٢٠٨] وهنا نتلمس ان جهاز الشرطة حينذاك اسهم بحفظ النظام وسيادة الامن الداخلي في الدولة .

ثالثاً ــ النظام القضائي

يعد القضاء في الاسلام أمراً دينياً وكان العباسيون يعهدون هذا المنصب الى احد الفقهاء الذين يمتلكون مؤهلات خاصة تؤهلهم لاحتلال هذه الوظيفة فالقضاء من واجبات الخليفة[٢٠٩] وهو جزء من مسؤولياته الكبيرة في حراسة الدين وسياسة الدولة

وقد تطور نظام القضاء في العصر العباسي المتاخر تطوراً كبيراً فكان الخليفة هو الذي يعين القاضي او يقوم الوالي او قاضي القضاة بذلك[٢١٠]

وفي الحقيقة التي نحن بصدد دراستها خصص للقاضي راتباً محدداً وقد اشار ابو يوسف[٢١١] الى ما يجري على القضاة من ارزاق فهو من بيت مال المسلمين .

وقد اشارت كتب الفقه الى اختيار القاضي والصفات الواجب توفرها في القاضي والى مراتب القضاء وشهود القاضي العدول (اي منسوبين الى العدل) وهؤلاء المعدلون يتولون الشهادة امام القاضي لاثبات الحكم[٢١٢] .

٢ ــ قضاة الخليفة الناصر لدين الله :

اول قضاة الخليفة الناصر لدين الله هو ابو الحسن علي بن احمد بن الدامغاني وهو من بيت القضاء وكان شيخاً مهيباً وقوراً فاضلًا عالماً كامل العقل عفيفاً جميل السيرة محمود الافعال حسن المعرفة بالقضاء والاحكام كريم الاخلاق ولد سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م وولاه الخليفة المقتفي القضاء بمدينة السلام وسائر البلاد

---

(٢٠٨) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، حـ ٣ ، ص ٣٧٨ العمري ، عناية المرام ، ص ١٥٨

عباس قمي ، تتمة المنتهى ، ص ٣٦٠ .

(٢٠٩) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٥

(٢١٠) السبكي ، طبقات الشافعية ، حـ ٤ ، ص ٢٧٩ ــ ٢٨٠ .

(٢١١) الخراج ص ١٨٦ .

(٢١٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ص ٦٥ ــ ٦٦

ابن وكيع ، اخبار القضاة ، حـ١ ، ص ٧٠

بدري محمد فهد تاريخ الشهود ، مجلة كلية الشريعة العدد ٣ بغداد ١٩٦٧ ، ص ٢٨

شرقاً ومغرباً واقره المستنجد ثم عزله ثم اعاده الخليفة المستضيء سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م ثم اقره الخليفة الناصر لدين الله على ولايته الى ان مات سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م[٢١٣] وتولى القضاء بعده ابو طالب علي بن علي بن هبة الله المعروف بابن البخاري وقد نشأ في بغداد وتفقه وسمع الحديث ثم دخل بلاد الروم واقام بمدينة باقصرا[٢١٤] عند والده وكان قاضياً هناك نحو عشرين سنة ثم عاد الى بغداد فقلده الخليفة الناصر القضاء[٢١٥] ، ثم تولى ابو الحسن محمد بن جعفر العباسي الهاشمي قاضي القضاة ببغداد وقد تفقه على ابي الحسن بن الخل وغيره تولى القضاء والخطابة بمكة واصله منها ولكنه ارتحل الى بغداد ونال منها ما نال فضلاً عن توليه القضاء في حريم دار الخلافة ثم عزل ومات سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م[٢١٦] ، وكان من القاب قاضي القضاة ان يقال له بعد ترتيبه (قاضي القضاة شرقاً وغرباً) كما حدث لعز الدين ابي القاسم عبد الله بن الحسن

---

(٢١٣) ابن الفوطي ، مجمع الاداب في معجم الالقاب ، حـ ٣ ، ص ٧٧٦ .

انظر : الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨٣ .

ابن الدبيثي ، المختصر المحتاج ، حـ ١ ، ص ٤٠ .

ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ١٠٤ .

محيي الدين ابي محمد عبد القادر بن ابي الوفاء القرشي ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ، حـ ١ ، طـ ١ ، الهند ، ص ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ .

سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ص ٣٥٨ .

(٢١٤) باقصرا كورة واقعة في شرق دجلة مقابل جزيرة ابن عمر في بلاد الروم وهي تقوم مقام الحصن الروماني المشهور بازيدى ، لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٢٣ .

الباجسراي : بلدة في شرق دجلة بينها وبين حلوان عشرة فراسخ من بغداد وهي عامرة كثيرة العمل والاهل خرج منها جماعة من اهل العلم والرواية منهم ابو القاسم عبد الغني بن محمد بن حنيفة الباجسراي . ياقوت ، حـ ١ ، ص ٣١٣ .

(٢١٥) الاسنوى طبقات الشافعية ، حـ ٢ ، ص ١٧٣ .

انظر : بدري محمد فهد ، تاريخ العراق ، ص ١٨٤ .

(٢١٦) إبن كثير ، البداية والنهاية انظر : السبكي ، طبقات الشافعية ، جـ ٦ ، ص ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .

الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٣ .

الدامغاني وكذلك علي بن عبد الله ابي الحسن الذي تولى قضاء القضاة ما بين ٥٩٨ هـ – ٦٠٠ هـ/ ١٢٠١ – ١٢٠٣ م ثم مات سنة ٦٢١ هـ ١٢٢٤ م .[٢١٧] وذكر ابن الساعي[٢١٨] ان هذه الوظيفة ظلت خالية (شاغرة) عن قاضي القضاة يومذاك ولكنه لم يحدد عدد الايام التي شغرت بها . ثم اعيد ابو طالب البخاري الى ان توفي سنة ٥٩٣ هـ/ ١١٩٦ م ثم استناب الخليفة ابا القاسم عبد الله بن الدامغاني الحنفي سنة ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦ م وقرىء عهده بجامع القصرحيث تولى قراءته المحتسب ابن الرطبي وحكم واسجل وهو الرابع من قضاء القضاة من بيته شافهه بالولاية الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي .[٢١٩] ثم قلد الناصر لدين الله ابا الفضائل القاسم بن الشهرزوري[٢٢٠] قضاء القضاة وخلع عليه بدار شرف الدين ابي القاسم بن الناقد الصدر بالمخزن وقرىء عهده عنده وسلم اليه وركب من داره متوجهاً الى جامع القصر واسكن الدار المجاورة لباب العامة والخاصة بمدينة السلام فلم يزل على ذلك الى ان استعفى من ولاية القضاء[٢٢١] . وممن تولى نيابة القضاء عن الشهرزوري احمد بن نصر بن الحسين ابو العباس الانباري[٢٢٢] وكذلك عبد الكريم بن المبارك بم محمد بن عبد الكريم البلدي ابو الفضل حيث تولى قضاء حريم دار الخلافة ومما يليها[٢٢٣] ، ومن اشتهر عند قاضي القضاة ابو الفضائل الشهرزوري ، عبد المنعم بن محمد بن الحسين بن سليمان ابو محمد بن ابي نصر الفقيه الحنبلي من اهل باجسرا (باقصرا) وقد

---

(٢١٧) القرشي ، الجواهر المضيئة ، حـ ١ ، ص ٣٦٤ .

(٢١٨) الجامع المختصر ، حـ ٩ ص ٨٠ حوادث سنة ٥٩٨ هـ .

(٢١٩) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ٢٠٦ ، حوادث سنة ٦٠٣ هـ .

انظر : سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٢٩ .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ١٩٢ .

الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٣ والكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٢٢٠) ولد سنة ٥٣٤ هـ وتوفي سنة ٥٩٩ هـ .

(٢٢١) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ص ١٠٢ و ٤٥ .

انظر : الذهبي العبر ، حـ ٤ ، ص ٣٠٨ وابن كثير ، البداية والنهاية حـ ١٢ ، ص ص ٢٠ و ٣٥ .

وسبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٤٦٠ والايوبي ، مضمار الـ[illegible]ق ، ص ٨٣ .

(٢٢٢) السبكي ، طبقات الشافعية ، حـ ٦ ، ص ٦٧ .

(٢٢٣) القرشي ، الجواهر المضيئة ، حـ ١ ، ص ٣٢٦ .

وضحت سابقاً حيث قدم بغداد في صباه واستوطنها وقرأ بها الفقه ودرس بمسجد المامونية[224] مدة ، وكذلك شهد عنده يوسف بن المبارك بن هبة الله[225]

قلد ابو الحسن علي بن سليمان الحلي قضاء القضاة شرقاً وغرباً سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١ م الذي تفقه على ابيه ، ولم يزل على ولايته الى ان عزل في سنة ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م حيث توفي سنة ٦٢١ هـ/ ١٢٢٤ م بالحلة[226] وتقلد قضاء واسط عبد اللطيف بن نصر الله بن الكيال سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١ م.[227]

ثم استقضى الخليفة الناصر لدين الله ابا القاسم عبد الله بن الدامغاني سنة ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦ م الى ان عزل في سنة ٦١١ هـ/ ١٢١٤ م وولي بعده محمود بن احمد الزنجاري ثم ما لبث ان عزله الخليفة سنة ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢ م ، واستقضى بعده ابا عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان فلم يزل على ذلك الى ان توفي الخليفة الناصر لدين الله[228]

اما قضاء المدائن فتولاه عبد الحميد بن القاضي ابي المعالي وكان دينا خيرا فيه فضل وكرم[229]

وقد اورد لنا القلقشندي نسخة عهد بقضاء القضاة بحاضرة بغداد وسائر الاعمال كتب به عن الخليفة الناصر لدين الله للقاضي محيي الدين ابي عبد الله محمد بن فضلان من انشاء عضد الدين بن الضحاك .[230] ويرى التنوخي[231] ان

---

(٢٢٤) ابن النجار ، تاريخ ابن النجار المعروف (التاريخ المجدد لمدينة السلام) ، ورقة (٣٠) .

(٢٢٥) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٤٤ .

(٢٢٦) ابن الفوطي ، مجمع الاداب ، حـ ٤ ، ص ٧٨٤ .

انظر : القرشي ، الجواهر المضيئة ، حـ ١ ، ص ٣٦٤ .

(٢٢٧) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٨٠ .

(٢٢٨) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ .

انظر : الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨٦ .

سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٢٢٩) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، مج ٤ ، حـ ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٢٣٠) مآثر الانافة ، حـ ٣ ، ص ١٤٠ ــ ١٥٠ .

(٢٣١) نشوار المحاضرة حـ ١ ص ٢٣٢)

انحلال دولة بني العباس فيما بعد كان بانحلال امر القضاء .

ومن المناصب القضائية منصب النظر في المظالم .(٢٣٢) وقد مرت مؤسسة المظالم بمراحل متعددة ومتتابعة عبر مراحل التاريخ العربي الاسلامي وتطورت خلالها حتى وصلت الى درجة من النضج في العصر العباسي ويمكننا القول ان الجذور التاريخية لهذه المؤسسة ادارياً ترجع الى عهد الخليفة الراشدي علي بن ابي طالب (رض) لانه اول من اتخذ بيتاً يطرح الناس فيه القصص (قصص المتظلمين) وسمي (بيت القصص) .(٢٣٣)

ويعهد بالنظر بالمظالم عادة لشخص من سراة القوم يستطيع ان ينظر في القضاء التي يعجز عنها القضاء العادي ، وكان القضاء والنظر في المظالم يقومان جنباً الى جنب في جميع البلاد الاسلامية ، ولما كان النظر في المظالم غير مقيد بتدقيقات الفقهاء فقد كان صاحب المظالم اكثر حرية من القاضي في ممارسة مهامه(٢٣٤)

غير انه بتخصيص الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦ هـ / ٦٨٥ ـ ٧٠٥ م يوماً معيناً للنظر في المظالم يكون قد وضع اللبنات الاولى لهذه المؤسسة التي شهدت تطوراً في العصور العربية الاسلامية اللاحقة .(٢٣٥)

والنظر في المظالم وان كان من صور القضاء الا انه اهم منه شأناً واعمق اثراً وقد بين الماوردي(٢٣٦) الفروق بين صلاحيات صاحب المظالم وصلاحيات القاضي اذ

---

(٢٣٢) ذكر الماوردي ان نظر المظالم هو قود المتظالمين الى التناصف فيما بينهم بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة فكان من شروط الناظر فيها ان يكون جليل القدر نافذ الامر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع ، كثير الورع لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماة وثبت القضاة ، الاحكام السلطانية ، ص ٧٧ .

(٢٣٣) العسكري الاوائل ، ١٦٧ .

(٢٣٤) آدم متز ، الحضارة الاسلامية في القرن ٤ هـ ، القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ، ط ٣ . ص ٤٠٩ ، ٤١٤ .

(٢٣٥) عطا سلمان جاسم ، النظر في المظالم في الخلافة العربية الاسلامية ، بغداد ـ ١٩٨٥ ص ١٧١ رسالة ماجستير مخطوطة .

(٢٣٦) الاحكام السلطانية ، ص ص ٨٣ ـ ٨٤ .

انظر : الصالح ، النظم الاسلامية ، ص ٣٢٥ والانباري ، النظام القضائي ، ص ١٠٤ .

اشترط في ناظر المظالم الهيبة وقوة اليد في كف الخصوم ومنع المظلمة ، التي قد لا تكون لدى القضاة فيكون الناظر فيه افسح مجالاً واوسع مقالاً ويستعمل من الوسائل التي من شانها كشف الاسباب بالامارات الدالة ما يضيف على القضاة ، فيصل به الى ظهور الحق ومعرفة المبطل من المحق وتاديب الظالم وتقويم وتهذيب من بان عدوانه .

ومن هنا يتضح ان منصب النظر في المظالم من المناصب القضائية المهمة في الدولة العربية الاسلامية ولا شك كان له دور خطير وحاسم فقد تصدى المسؤولون في هذا المنصب لقضايا خطيرة جابهت ادارة الدولة واستطاعوا بما يملكون من قوة النفوذ والسلطة التصدي لها وعلاجها بسرعة خاصة فيما يتعلق بالخراج[٢٣٧] وعندئذ بات من الضروري انشاء ديوان للنظر في المظالم تكون مهمته[٢٣٨] الاساس معالجة تجاوزات اصحاب النفوذ والجاه ، ولهذا كان يتولى رئاسة هذا الديوان الخليفة او الوزير او الوالي[٢٣٩] . ويمكننا ان نقول ان ديوان النظر في المظالم يشبه المحكمة العليا او محكمة الاستئناف في عصرنا الحاضر لمحاكمة كبار رجال الدولة في القضايا التي ترفعها الدولة عليهم او التي يرفعها المواطنون لاعادة الحقوق الى اصحابها . وقد حصل تطور في ديوان النظر في المظالم اذ اصبح له مجلس المظالم ويتكون من خمسة اصناف لا يستغنى عنهم ولا ينتظم نظره الا بهم : احدهم الحماة والاعوان لجذب القوى والثاني القضاة والحكام لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق ومعرفة ما يجري في مجالسهم بين الخصوم ، والثالث الفقهاء ليرجع اليهم فيما اشكل والرابع الكتاب ليثبتوا في سجلات خاصة ما جرى بين الخصوم وما توجه لهم او عليهم من الحقوق ، والخامس الشهود ليشهدهم على ما اوجبه من حق وامضاه من حكم[٢٤٠] . وكان هناك مجلس للمظالم يعقد مرتين في الاسبوع الاحد والاربعاء

---

(٢٣٧) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٨٠ .

(٢٣٨) عن واجبات ديوان المظالم واختصاصاته انظر :

عطا سلمان جاسم ، النظر في المظالم ، ص ص ١٩٥ ــ ٢٠٩ .

(٢٣٩) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ص ٣٨٣ .

النظم الاسلامية ، ص ٢٩٤ وما بعدها .

انظر : البوزيكي ، دراسات ، ص ٢٠١ .

(٢٤٠) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٨٠ .

انظر : عطا سلمان ، النظر في المظالم ، ص ص ١٧٩ ــ ١٨٥ .

يترأسه صاحب الجيش او وزيره.[241]

ففي عهد الخليفة الناصر لدين الله نلاحظ ان الخليفة اخذ على عاتقه مسؤولية النظر في المظالم فكان يدقق رقاعها بنفسه، ويوقع عليها، فلما ضعف بصره في اواخر خلافته عجز عن النظر في قصص المتظلمين فجعل امرأة تسمى نسيم خطها قريب من خطه بين يديه تكتب الاجوبة في الرقاع.[242]

٣ـ الحسبة :

هي الامر بالمعروف اذ ظهر تركه، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله، حسب ما جاء في الآية الكريمة (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون)[243] . ويقوم المحتسب بهذه الوظيفة فرضاً متعيناً عليه لا نافلة يتطوع بها متى شاء، فليس له ان يتشاغل عن هذه الوظيفة بغيرها فهو ماجور عليها يتقاضى راتباً مجزياً من بيت المال.[244]

والحسبة واسطة بين احكام القضاء واحكام المظالم لان النظر في المظالم موضوع لما عجز عنه القضاء والنظر في الحسبة موضوع لما رفه عنه القضاة[245] وقد حدد الفقهاء اعمال المحتسب[246] بامرين احدهما الامر بالمعروف، والثاني النهي عن المنكر ومهما يكن من امر فان واجبات المحتسب كانت تستهدف خدمة مصلحة الجمهور ولم يفرض على الصناع او التجار او الباعة قيوداً ثقيلة ولم يتح للمحتسب مجال التدخل الكبير في شؤون أهل السوق.

---

(٢٤١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٣٢٨ .

(٢٤٢) ابن القفطي، تاريخ الحكماء، ص ٢١٣ .

انظر : الصفدي، نكت الهميان، ص ٩٦ .

العماد الحنبلي، شذرات الذهب، حـ ٥، ص ٩٨ .

(٢٤٣) سورة آل عمران، آية ١٠٤ .

(٢٤٤) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٢٤٠ .

(٢٤٥) م.ن، ص ٢٤١ .

(٢٤٦) انظر حسن الباشا، الفنون الاسلامية والاثار على الوظائف العربية، حـ ٣، ص ١٠٢٧ ــ ١٠٣٧ .

رابعاً ـ الشؤون المالية والاقتصادية

١ ـ بيت المال :

تعمل السياسة المالية لكل دولة على تحقيق التوازن بين مواردها ومصروفاتها ، وقد سارت الدولة العربية الاسلامية منذ بداية قيامها على هذه السياسة ، فانشات بيت المال ليقوم على صيانة موارد الدولة وحفظها وتحديد اوجه صرفها على وفق مصالح المسلمين ، فهو يشبه وزارة المالية في الوقت الحاضر الى حد ما ، وصاحب يقوم بمهمة وزير المالية تقريباً . فكان يطلق عليه صاحب بيت المال .

لقد اطلق على الخزانة لفظة (بيت المال) وهي التسمية التي نجدها في جميع المصادر كما سميت ايضاً بيت مال المسلمين وهي تبين الاتجاه الديني للاموال . اما تسمية (بيت مال العامة) فنلاحظها في العصور المتاخرة حيث استحدث بيت مال الخاصة . وقد استخدم هذا التعبير للتفريق بين بيت المال وبيت مال الخاصة والتسميتان الاوليان كثيراً ما تردان في نص واحد للدلالة على المعنى نفسه .[٢٤٧]

وقد حدد العلماء ما لبيت المال وما عليه من حقوق فعدوا كل ما استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم حقاً من حقوق بيت المال وكل حق وجب صرفه في مصالح المسلمين فهو حق عليه .[٢٤٨]

وديوان بيت المال تولى الاشراف على ما كان يرد من الموارد النقدية والعينية وما كان يخرج منه من نفقات . وعلى ذلك فقد كان يثبت في سجلاته جميع اصول الاموال في الدولة ، وكان يفرد لكل صنف سجل خاص به ، ويشمل ايضاً عدة خزائن مثل خزانة الملابس ، وخزانة النقود ، وخزانة الحبوب ، وخزانة السلاح . وكان كاتب هذا الديوان يمضي كافة الصكوك المرسلة اليه[٢٤٩] .

فالمخزن كان في الاصل تابعاً لديوان بيت المال ، وكان لصاحب المخزن دار

(٢٤٧) خولة شاكر محمد الدجيلي ، بيت المال نشاته وتطوره ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ٨ . رسالة ماجستير مخطوطة .

(٢٤٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية . ص ٢١٣ .

(٢٤٩) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤١ .

انظر : حسام قوام السامرائي ، المؤسسات الادارية ص ٢٤٤ .

خاصة به تقع بالديوان ، كما كان الحال بالنسبة للوزير ، وكان يطلق على موظف المخزن ايضاً الصدر او الناظر.[٢٥٠]

ولابد لنا هنا من الاشارة الى نقطة مهمة وهي مدى التداخلُ بين بيت مال المسلمين ومال الخليفة الخاصة فمن المؤكد ان الخليفة كان الرئيس الاعلى لكلا المؤسستين وكان يتولى صلاحية الانفاق منهما معاً وهو غير ملزم بتقديم حساب بما يصرفه منهما لاحد ولذلك فان التفرقة بينهما تتحدد بتصرفاته وانفاقه[٢٥١] . ومنذ اول عهد الاسلام قضي بالفصل بين بيت مال المال وبين خزانة الخليفة المسماة بيت مال الخاصة.[٢٥٢]

٢ ــ صاحب المخزن :

في سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م رتب استاذ الدار ابن شبيب صاحباً للمخزن ، ورتب زين الدين مشرف مخزن ، وفي سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م بذل مسعود ابن جابر الذي كان خازن المخزن (عشرة آلاف دينار) ليكون صاحب المخزن ، وكان استاذ الدار قد تغير على ابن شبيب فقبض عليه ووكل به في داره ورتب ابن جابر صاحب مخزن[٢٥٣] ومن هنا يتضح ان مثل هذه الوظائف كانت مرغوباً بها لدى بعض الناس بحيث اصبحوا يدفعون مبالغ مجزية من اجل الحصول عليها .

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان الخليفة الناصر لدين الله كان بين مدة واخرى ينعم على بعض الاشخاص ممن قدموا خدمة لدار الخلافة والخليفة بمقدار معين من المال كل شهر ودار للسكن فضلاً عما يحتاجون اليه من امور اخرى تطمئن احوال معيشتهم.[٢٥٤]

وممن تولى صدرية المخزن في عهد الخليفة الناصر لدين الله ابن العطار ــ المار ذكره ــ وشرف الدين ابو تميم معد بن الحسين ، وعضد الدين ابو الفتوح ، وركن الدين ابن عبد الله محمد بن الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي ، وابن الناقد ابو القاسم بن نصر الذي وزر للخليفة الناصر لدين الله سنة

---

(٢٥٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، حـ ١٠ ، ص ١٩٥ .

(٢٥١) آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، حـ ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢٥٢) م . ن .

(٢٥٣) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٤ و ١٢٣ .

(٢٥٤) ومن هؤلاء ابي العز وعلي بن محمد بن يحيين الفراش.
الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٨٥ .

٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م[٢٥٥] .

جاء في حوادث سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م ان الخليفة الناصر لدين الله اطلق الضرائب المفروضة على الباعة من المؤن والمبيعات واوعز الى صاحب المخزن قوام الدين ابي فراس نصر بن ناصر بان يجمع الباعة ويبلغهم هذا فتم ذلك ، وشاع بين الناس ، فكثرت الادعية لامير المؤمنين . وكان مقدار تلك الضريبة في كل سنة (٢٠٠) الف دينار[٢٥٦]

٣ ـ واردات الدولة :

ان موارد الدولة في عصر الخليفة الناصر لدين الله ، تكاد تكون الموارد نفسها التي عرفتها الخلافة العباسية من قبل وكانت تسمى الضرائب الشرعية واهمها :

أ ـ الخراج :[٢٥٧]

او ضريبة الارض وتؤخذ من الارض الزراعية التي انضوت تحت لواء الدولة عنوة وحرباً ، والتي تقرر عدم توزيعها على المقاتلين وانما تبقى فيئا لجميع المسلمين[٢٥٨] ويبقى اهلها على ذمة المسلمين .[٢٥٩] وتتميز ارض الخراج عن ارض العشر في الملك والحكم ،[٢٦٠] قال ابن الازرق : (المال بالخراج ، والخراج بالعمارة ، والعمارة بالعدل)[٢٦١]

وتشير المصادر الى ان الخليفة الناصر لدين الله كان يأخذ من قرية يعقوبا[٢٦٢]

---

(٢٥٥) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٦٥ ، ١٤٣ ، الايوبي ، المضمار ، ص ١٣١ ـ ١٤٠ .

(٢٥٦) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٢٥٧) ابي عبيد القاسم بن سلام ، الاموال ، ص ٦٨ ـ ٧٧ ؛

انظر : الريس ، الخراج والنظم المالية ، ص ١١٧ .

انظر : ابي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي ، الاستخراج لاحكام الخراج ، طـ ١ ، مصر ، ١٩٣٤ ، ص ٤ ـ ٥ .

(٢٥٨) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٣٩ . قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

(٢٥٩) ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، الخراج ، طـ ٢ ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ ، ص ٦٩ .

(٢٦٠) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢٦١) ابن الازرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، ص ٢٠٥ .

(٢٦٢) انفرد ابن ابي عذيبة بذكرها قرية يعقوب . انسان العيون ، ورقة ٢٣٧ .

(٨٠) الف دينار خراجا عنها[٢٦٣] . في حين يذكر ابن الساعي ان الخليفة الظاهر ابن الخليفة الناصر لدين الله اعاد قرية بعقوبية الى خراجها القديم وهو عشرة الاف درهم[٢٦٤] وفي عهد الخليفة الناصر لدين الله كان خراجها ٨٠ الف درهم[٢٦٥] . ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه اوعز في سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ الى صاحب الديوان ان يخرج الى الكوفة ويعد نخيلها ويستوفي الخراج من اهلها[٢٦٦] . وهذا يعني ان خراج النخيل حينئذ يؤخذ على اساس عدد اشجار النخيل .

وللخراج ديوان هو من اهم دواوين الدولة كما ظلت لصاحبه مكانة كبيرة بين موظفيها ، وقد اصبح الديوان في الحقبة الاخيرة يحمل اسم المخزن ، وصاحبه يعرف بصاحب المخزن ، وهو كوزير المالية اليوم تقريباً .[٢٦٧] ومهما يكن من امر فان موارد الخراج شكلت رافداً مهماً من روافد بيت المال

ب ـــ الجزية :[٢٦٨]

الجزية ضريبة فرضت على اهل الذمة وغيرهم مقابل حمايتهم[٢٦٩] ، وتجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان : على الموسر ٤٨ درهماً (او اربعة دنانير) وعلى الوسط ٢٤ درهماً (او ديناران) وعلى الاقل منه قدرة ١٢ درهماً (او دينار واحد) . يؤخذ منهم في كل سنة ، وتخفيفاً عن كاهل دافعي الجزية تقبل منهم دفع الثياب والدواب والمتاع وغيرها . وضربت الجزية منذ عهد الرسول (ﷺ)

---

(٢٦٣) م . ن .

(٢٦٤) ابن الساعي المؤرخ الوحيد الذي ذكر خراج بعقوبة بعملة الدرهم .

(٢٦٥) ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١٢٢ .

ابن ابي عذيبة ، انسان العيون ، ورقة ٢٣٧ .

(٢٦٦) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٦٨ .

(٢٦٧) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص هـ ، ض

انظر : فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، ص ص ٣٨٧ ـــ ٣٨٨ .

حسام السامرائي ، المؤسسات الادارية ، ص ١٩٥ .

(٢٦٨) يذكر ابو يوسف اصل كلمة الجزية من لفظة الجوالي (جمع جالية) واصلها الجماعة التي تفارق وطنها وتنزل وطناً آخر ومنه قيل لاهل الذمة الذين اجلاهم عمر (رض) عن جزيرة العرب (جالية) ثم نقلت هذه اللفظة الى الجزية التي اخذت منهم واستعملت في كل جزية تؤخذ وان لم يكن صاحبها جلا عن وطنه .

ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣ انظر ، الريس ، الخراج والنظم ، ص ١٢٥ .

(٢٦٩) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٢ وكذلك الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٤ .ـــ

لكنها نظمت ابان خلافة عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك تحمل قطائع[٢٧٠] . ولا شك ان الاموال التي تأتي عن طريق الجزية شكلت خلال عصر الناصر لدين الله مورداً لا باس به من موارد بيت المال .

حـ ـ الزكاة :

هي احد اركان الاسلام . فرضت على الاغنياء والقادرين من المسلمين الذين يمتلكون اموالًا تبلغ النصاب ويحول عليها الحول . والزكاة والصدقة تأتي بمعنى واحد وتجبى مرة واحدة في السنة . وخلال عصر الخليفة الناصر اتبعت النصوص الشرعية في امر جباية الزكاة وتوزيعها على مستحقيها ولم يرد لدينا ما يشير الى وجود تعسف في جمعها .

د ـ وهناك موارد اخرى منها ضرائب العشور التي تفرض على التجارة فكان يؤخذ من المسلم ربع العشر ، ومن اهل الذمة نصف العشر ، ومن تجار دار الحرب العشر[٢٧١] ، والعشر ما يؤخذ من زكاة الارض التي اسلم عليها اهلها دون قتال والتي احياها المسلمون من الارضين او القطائع .[٢٧٢] ويشترط في المال الخاضع لضريبة العشر ان يبلغ النصاب وان يدور عليه الحول ، وان يكون معداً للتجارة .

هـ ـ الفيء

ما يؤخذ من ارض العنوة[٢٧٣] وهو خراج الارض ،[٢٧٤] ويقول الماوردي[٢٧٥] ان الفيء يصرف في مصالح المسلمين ، ومن اعظم مصالحهم اقامة الكفاية للجند (ارزاقهم) ، وللعلماء الذين يحرسون الدين بالدليل كحراسة الجند للارضين ، ثم للفقراء العاجزين عن الكسب وما الى ذلك من بناء القناطر ، وعمارة المساجد ، وبناء الحصون وغيرها .[٢٧٦]

← انظر : ابن سلام ، الاموال ، ص ص ٣٦ ـ ٤٣ .

(٢٧٠) النويري ، نهاية الارب ، حـ ٨ ، ص ٢٤٠ .

(٢٧١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٢ .

(٢٧٢) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٣٩ ، انظر : الريس ، الخراج والنظم ، ص ١٣٠ .

(٢٧٣) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٣٩ ، انظر ، الريس ، الخراج والنظم ، ص ص ١١١ ـ ١١٢ .

(٢٧٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٢٣ .

(٢٧٥) الاحكام السلطانية ، ص ص ١٢٧ ـ ١٣٠ .

(٢٧٦) عن الفيء انظر : كتاب الاموال للحافظ ابي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ص ص ١٨ ـ ٢٦ .

و ـ وهناك ضرائب أخر :

ان هذه الموارد لم تكن كافية احياناً فاضطر المسؤولون الى فرض ضرائب اخرى مثل ضرائب البيع كما اشار ابن الساعي الى مقدار الضريبة التي فرضها الخليفة الناصر لدين الله على المبيعات سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧ م ، وكانت مائتي الف دينار[٢٧٧] وفضلاً عن ذلك ، هنالك ضرائب اخرى على الوظائف الكبيرة او الترقيات ويذكر الايوبي[٢٧٨] في حوادث سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م ان مسعود بن جابر الذي كان خازن المخزن ، بذل عشرة آلاف دينار ليكون صاحب المخزن ، فقد تم له ذلك بعد ان تغير استاذ الدار علي بن شبيب صاحب المخزن ، حينذاك . كذلك بذل ابو السعود بن جعفر مبلغ الف وخمسمائة دينار على ان يكون حاجب الحجاب فاذن له في ذلك ، وكان حاجب الحجاب آنذاك بهاء الدين ابو الفتح بن الداريج[٢٧٩] . بلا ريب ، فان هذه المبالغ وامثالها كانت تشكل مورداً لبيت المال احياناً .

ز ـ أموال المصادرة :

ومن واردات الدولة ايضاً اموال المصادرة وهي الاموال التي تحصل عليها الدولة حين تعمد الى عزل موظفيها الكبار والمسيئين او المستغلين لمركزهم الوظيفي تعويضاً عما سبق ان اخذوه من اموال الدولة ، او اموال المواطنين . ومما جاء في حوادث سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م انه قبض على كمال الدين ابي الفضل بن الوزير الفرج بن رئيس الرؤساء وحمل الى دار الخفاش في قصر التاج وطلبت منه اموال جمة فلم يعترف بشيء واخذ ما كان في داره من المال فكان مقداره عشرين الف دينار ، واخذت من داره خزانة من الكتب النفيسة تولى بيعها ابو السعادات الوكيل ابن الناقد . وتكررت المطالبة لابن رئيس الرؤساء بالمال وهو يدافع عن نفسه وكان استاذ الدار ابن الصاحب يستهين به ومع ذلك كان يخاف منه لانه كان رجلاً جباراً عارفاً باحوال الملك وتدبيره . اذ نشأ في دار الخلافة حاكماً ، وكان ابوه الوزير مع شيخوخته يتدبر برأيه مع صغر سنه ، فتقدم استاذ الدار الى عبد الملك النائب ، وكان معروفاً بالظلم والقساوة فتولى امر كمال الدين .[٢٨٠]

---

(٢٧٧) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ .

(٢٧٨) مضمار الحقائق ، ص ١٢٣ .

(٢٧٩) م . ن ، ص ١٦٩ .

(٢٨٠) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ص ٧٤ ـ ٧٥ .

ر ـ الضمان

وثمة ظاهرة جديدة ظهرت في العصور العباسية المتأخرة لها علاقة وطيدة ببعض الضرائب المفروضة ومقدارها . ذلك ان الدولة اخذت تستحصل هذه الضرائب بطريقة الضمان فقسمت البلاد على عدد من الضامنين[٢٨١] فكان لكل واحد منهم منطقة معينة يشترط عليه عند الاتفاق معه ان يؤدي مبلغاً معيناً من المال الى الديوان او بيت المال[٢٨٢] . ومن الذين ضمنوا منطقة واسط ابان خلافة الناصر لدين الله ، ظهير الدين ابو بكر منصور ابن العطار[٢٨٣] صاحب المخزن ، فكان قد تحكم في كثير من شؤون الدولة تحكماً كبيراً وبخاصة الامور المالية واستولى على جميع المعاملات المالية التي لها علاقة بمنطقة واسط وضمّن[٢٨٤] البلاد بسائرها ، ومنع البيع من خزائن الغلال والحبوب ، فاشتدت بغضته في قلوب الناس وخاصة ارباب دولة الخليفة وكانوا يقولون : (سبب غلو الاسعار منعه لبيع الغلال).[٢٨٥]

وجاء عن النقيب الاكمل عبيد الله بن مالك الهاشمي المعروف بابن الدشال ، ضامن اعمال واسط ، انه خرج لاستيفاء ضمانة لكنه لم يحصل على نصف المبلغ الذي التزمه ، ولما وصل الى بغداد كان مريضاً فمات .[٢٨٦]

ومما جاء عن ناظر قوسان[٢٨٧] افلح بن افلح الذي وصف بالجلادة والجرأة على

---

(٢٨١) انظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، حـ ٢ ، ص ٧٢٥ .

(٢٨٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، حـ ١٠ ، ص ٢٠٠ .

(٢٨٣) هو ظهير الدين ابو بكر بن منصور بن نصر بن الحسينْ المعروف بابن العطار المتولي بالمقوية في سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م من قبل الخليفة الناصر لدين الله .

انظر : ابن الاثير ، الكامل ، حـ ١١ ، ص ٤٥٩ .

ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ٨٥ .

(٢٨٤) ضمّن هنا بمعنى احتكر .

الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٣ .

(٢٨٥) م . ن .

(٢٨٦) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٢ .

انظر : الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١١٨ .

(٢٨٧) قوسان : بالضم ثم السكون ، كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط ونهره الذي يسقي زروعه يقال له الزاب الاعلى .

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، حـ ٤ ، ص ٢١٠ .

اخذ الاموال لنفسه انه كان يأخذ ويحبس ويضايق العمال واستوفى منهم عشرة آلاف دينار من غير وجه حق وقد توفي في سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م[٢٨٨] وممن تولى نظارة الاحواز عز الدين ابو الهيجاء[٢٨٩] . اما اسماعيل بن علي بن حسين البغدادي الارجي فتولى النظر في قرى الخليفة الناصر لدين الله وعقاره الخاص ، وكان الخليفة قد ولاه بنفسه ثم صرفه .[٢٩٠]

٤ ـ نفقات الدولة (مصروفاتها)

ان الاموال التي كانت تأتي من الموارد المتعددة ، كانت تنفق على مصالح الدولة ومرافقها فمنها ما كان ينفق على سد احتياجات دار الخلافة ، والخليفة ومنها ما كان ينفق في وجوه الدولة المختلفة كأرزاق القضاة ، والولاة ، وأجور العمال والموظفين ، واصحاب الدواوين ، والوزراء ، واعطيات الجند وتزويدهم بالمعدات والملابس والارزاق ، والانفاق على بناء الحصون والمعسكرات ، ورواتب الوعاظ وأئمة المساجد ، وشؤون الحج وتنظيم ادارته ، وبناء القناطر والجسور واصلاحها ، ونفقات كري الانهار والاهتمام بمشاريع الري ، والصرف على طرق المواصلات ، وعمارة المنازل والاسواق والمساجد الجامعة وفرشها وكسائها ومساجد الارياض المختلفة ، فضلاً عن العطايا والمنح والخلع[٢٩١] . وكذلك الانفاق على بعض المشاريع الخيرية ، كبناء المستشفيات ، وتوزيع الادوية على الفقراء ، وبناء دور الضيافة في رمضان ، واستقبال الحاج ، والانفاق على الضعفاء وتجهيزهم عند سفرهم ، فضلاً عن نفقات الدولة على الفقهاء والصوفية[٢٩٢] .

ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه قام في سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م ببناء دار ضيافة بالجانب الغربي من دجلة بالقرب من تربة سلجوقة زوجته ومجاورة

---

(٢٨٨) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ١٦ .

(٢٨٩) م . ن ، ص ١٧ .

(٢٩٠) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ، حـ ٢ ، ص ٦٧ .

(٢٩١) ابي علي احمد بن محمد المعروف بمسكويه ، تجارب الامم ، حـ ٦ ، مصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م ، ص ص ٤٠٤ ــ ٤٠٨ .

انظر : ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

(٢٩٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .

انظر : الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٨١ .

ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٣٢٢ .

قرية عون ومعين .[٢٩٣] ووضعت فيها الاطعمة الكثيرة ، وتقدم الى النواب بها ان لا يردوا واحداً من الحاج ، ولا غيرهم من تناول الطعام ، وان يدفعوا الى كل فقير عند عزمه على السفر ديناراً بعد ان يكسى ويعطى زاده[٢٩٤] . كما ان الخليفة الناصر لدين الله عمّر دار المضيف للصادر والوارد من الحاج وغيرهم لتناول الفطور في شهر رمضان .[٢٩٥]

ومما جاء عن ام الخليفة الناصر لدين الله انها امرت ببناء مشهد لرجل يقال له الشيخ علي بن الهيتي ، ورباطاً هناك ، وعملت له قبة عجيبة البناء ، واوقفت عليها قرية بلغ واردها خمسمائة دينار ، ووفرت جميع ما تحتاج اليه من فرش وقناديل ، منها قنديلان احدهما من الفضة والآخر من الذهب ، ثم عملت على قبره صندوقاً من الساج ، وغرمت عليه اموالاً كثيرة ، وكتبت اسمها على الصندوق (هذا ما اوقفته بحر درّة امير المؤمنين)[٢٩٦] . كما ان الخليفة الناصر لدين الله امر في سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م بتشييد دار جميلة في درب الصاغة واعطاها لابن رزين (ربيب الخليفة) وفضلاً عن ذلك امر الخليفة باعادة ترميم دار الفلك وكان الفلك رجلاً ضريراً مات في ايام الخليفة المستضيء[٢٩٨] ، ليكون رباطاً للنساء الزاهدات[٢٩٩] .

وكما اشرنا من قبل ان الخليفة الناصر لدين الله كان ينعم على بعض الاشخاص ما بين الفينة والاخرى ، بمبلغ من المال ، ودور للسكن اذ انعم على محمد بن يحيى الفراش بمبلغ (٣٠) ثلاثين ديناراً شهرياً ، واعطاه داراً للسكن مجاوراً لحمام الوراقين .[٣٠٠] كما قام الخليفة بتجديد المشاهد والصرف عليها وبنى الاربطة

---

(٢٩٣) عون ومعين اولاد امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) .
ابن الساعي ، الجامع المختصر ص ٢٥٩ .
ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨٠ .
(٢٩٤) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩ .
(٢٩٥) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٦ .
(٢٩٦) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٧٩ .
(٢٩٧) م . ن ، ص ٨٥ .
(٢٩٨) م . ن ، ص ١٧٥ .
(٢٩٩) مصطفى جواد ، عمارات ، مجلة سومر ، مج ٢ ، جـ ٢ ، تموز ١٩٤٦ .
(٣٠٠) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٨٥ .

والمدارس[٣٠١] ، كل هذه الامور تحتاج الى نفقات تكلف الدولة مبالغ كثيرة ، كانت تخرج من بيت المال .

خامساً — النشاط الاقتصادي في عهد الخليفة الناصر لدين الله —

شهدت العصور العباسية المتأخرة لا سيما خلال خلافة الناصر لدين الله ، نشاطاً ملحوظاً في جميع جوانب الحياة الاقتصادية[٣٠٢]

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان الحقبة التي سبقت مجيء الخليفة الناصر لدين الله تميزت بالضيق والجدب ، وغلاء الاسعار ، وقلة المعاش وكثرة الامراض والاوبئة ، وانحسار الامطار . الا ان من حسن طالع الخليفة الناصر لدين الله ان عهده استهل بوفرة الامطار فاخصبت البلاد ، ونمت الزروع ، وتراخت الاسعار ، وكثرت الخيرات[٣٠٣] ، والناس في ايامه قد استسعدوا رخاءًا وعدلًا وطيب عيش فالكل له داعون بالخير[٣٠٤] .

١ — الزراعة :

لقد ازدهرت الزراعة في عصر الخليفة الناصر لدين الله بشكل واضح[٣٠٥] ، وذلك لأن كثيراً من مشاريع الري ما زالت عامرة وتؤدي غرضها بشكل دقيق .

وعلى الرغم من الاهمال المتعمد الذي لاقته ابان التسلط البويهي والسلجوقي مثل نهر عيسى[٣٠٦] ، ونهر الملك ونهر كونة وكلها تأخذ مياهها من الفرات وتصب في

---

(٣٠١) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٤ .

(٣٠٢) موريس غ ، النظم الاسلامية ، ص ٢٦٨

(٣٠٣) الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٣ .

الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ص ٣٩ و ١٠ .

(٣٠٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨١ .

(٣٠٥) عبد المنعم رشاد ، الخلافة العباسية ٥٧٥ — ٦٥٦ هـ / ١١٧٩ — ١٢٥٨ م لندن — ١٩٦٣ ص ٢١٠ .

Abdui Munim Rashad , the Abbasid Calipat 575 — 656 / 1179 — 1258 London , 1963 , P . 210 .

(٣٠٦) نهر عيسى بن علي بن عبد الله الهاشمي بن عباس ، ونهر عيسى كورة كبيرة وقرى كثيرة وعمل واسع في غربي بغداد ياخذ من الفرات عند قنطرة دمما ثم يمر فيسقي المنطقة الكائنة بين←

دجلة جنوب بغداد لتروي المنطقة الوسطى من العراق[٣٠٧] .

وذكر ابن جبير في رحلته الى العراق سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤ م حين زار الكوفة قال : « والكوفة على بعد نصف فرسخ من الفرات والجانب الشرقي منها كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر ».[٣٠٨] وارضها خراجية[٣٠٩] اما مدينة واسط فهي حسنة الاقطار كثيرة البساتين والاشجار[٣١٠] وذكر ابن جبير الحلة وقال : (انها مدينة كبيرة لها اسواق حافلة بالصناعات الضرورية وهي قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخيل داخلاً وخارجاً فديارها بين حدائق النخيل وبها جسر عظيم)[٣١١] . ووصف لنا الطريق بين الحلة وبغداد حيث قال : (انه احسن طريق واجملها في بسائط من الارض وعمائر تتصل بها القرى يميناً وشمالاً ويشق هذه البسائط فروع من ماء الفرات تتسرب بها وتسقيها وهي متسعة وفسيحة تشرح بها العيون وتنبسط فيها النفوس والامن فيها متصل .)[٣١٢] ثم يستمر ابن جبير في وصف تفاصيل الطريق بعد الحلة وكيف انه يزخر بالقناطر المعترضة في

= بغداد والفلوجة حتى ينتهي الى المحوّل ثم يتفرع الى انهار تخترق الى مدينة السلام ثم يمر بالياسرية ثم قنطرة الرومية والزياتين والشوك والرمان وقنطرة البستان والمعبدي وبني زريق ثم يصب في دجلة عند قصر عيسى بن علي وكان عند كل قنطرة سوق يعرف باسمها .

صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، حـ ٣ ، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م ، ص ١٤٠٤ .

انظر : مسكويه ، تجارب الامم ، حـ ٦ ، ص ٤٠٦ .

احمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي ، البلدان ، بريل ، ١٨٩٢ ص ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

الحافظ ابي بكر احمد بن الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، مج ١ ، بيروت ، ص ١١١ و ١١٤

مصطفى جواد وآخرون ، بغداد ، ص ٨٧ .

حمدان الكبيسي ، اسواق بغداد ، ص ١٦٩ .

(٣٠٧) Abdul Munim Rashad , the Abbasid Caliphate P . 210 .

عبد المنعم رشاد ، الخلافة العباسية ، ص ٢١٠ .

(٣٠٨) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٦٨ .

(٣٠٩) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٨٢ .

(٣١٠) ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن بطوطة ، الرحلة ، بيروت ، ١٣٨٤ هـ/ ١٦٦٤ م ص ١٨٣ .

(٣١١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٦٨ .

(٣١٢) م . ن ، ص ١٦٩ .

طريقهم الى بغداد فلا يكاد المرء يمشي ميلًا الا ويجد قنطرة على نهر متفرع من الفرات فتلك الطريق اكثر الطرق سواقي وقناطير وعلى اكثرها خيام فيها رجال محترسون للطريق اعتناء من الخليفة بسبيل الحاج[٣١٣] . ومن القرى الموجودة على الطريق قرية القنطرة وصفها ابن جبير بانها كثيرة الخصب كبيرة المساحة متدفقة فيها جداول الماء وارفة الظلال بشجرات الفواكه من احسن القرى واجملها وبها قنطرة على فرع من فروع الفرات كبيرة فسميت القرية باسمها وتعرف ايضاً بحصن بشير ثم وصف قرية اخرى تعرف بالفراش كثيرة العمارة يشقها الماء وحولها بساط اخضر جميل المنظر[٣١٤] ، ويستطرد ابن جبير في كلامه حيث قال : (ثم رحلنا ونزلنا بقرية تعرف بزريران[٣١٥] وهي من احسن قرى الارض واجملها منظراً وافسحها مساحة واوسعها اختطاطاً واكثرها بساتين ورياحين وحدائق نخيل وكان بها سوق تقصر عنه اسواق المدن بسقيها دجلة من الشرق والفرات من الغرب وهي كالعروس بينهما والبسائط والقرى والمزارع متصلة بين هذين النهرين[٣١٦] وقال عن قرية صرصر[٣١٧] بانها اخت زريران المذكورة حسناً وفيها سوق حفيلة ومسجد جامع كبير جديد وهي من القرى التي تملأ النفوس بهجة وحسناً وذكر ابن جبير بان بعد هذا الموضع بقليل كان المدخل الى بغداد وقد وصفه حيث قال : (والمدخل اليها على

---

(٣١٣) م . ن ، ص ١٧٠ .

(٣١٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٧٠ .

(٣١٥) قرية بالعراق من احسن قرى الارض واجملها منظراً وافسحها مساحة واكثرها بساتين وحدائق نخيل وكان بها سوق تقصر عنه اسواق المدن ويسقي دجلة شرقها والفرات يسقي غربها وهي كالعروس بينهما والبسائط والقرى والمزارع بين هذين النهرين .

الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٩٥ .

(٣١٦) الرحلة ، ص ١٧١ .

(٣١٧) صرصر قريتان من سواد بغداد صرصر العليا وصرصر السفلى وهما على ضفة نهر عيسى وربما قيل نهر صرصر فنسب النهر اليهما ، وصرصر في طريق الحاج من بغداد كانت تسمى قديماً قصر الدير او صرصر الدير وقد خرج منها جماعة من التجار والاعيان وارباب الاموال .

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، حـ ٣ ، ص ٤٠١ .

ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ص ٥٢ و ٥٣ و ٥٦ .

البغدادي ، مراصد الاطلاع ، حـ ٢ ، ص ٨٣٨ .

لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٩٣ .

بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها)[٣١٨] .

نستنتج مما سبق ان الزراعة كانت مزدهرة بشكل واضح.وخاصة في المنطقة الوسطى بين الكوفة وبغداد بدليل ان هذه المنطقة كانت مكتظة بالقرى فضلًا عن كثرة القناطر والقنوات المائية والسواق .

وثمة وصف قدمه ابن بطوطة لمدينة بغداد لا يخلو من تاكيد لما قاله ابن جبير على الرغم من انه متاخر عن الحقبة موضوع البحث فقد قال : ان الجانب الغربي من بغداد فيه البساتين والحدائق ومنه تنقل الفواكه الى الجانب الشرقي ، وفي الجانب الشرقي قصور الخلفاء وفيها المناظر المشرفة على دجلة والبساتين الانيقة[٣١٩] .

اما البصرة فقد ذكرها ابن بطوطة بقوله : (ومدينة البصرة احدى امهات مدن العراق الشهيرة الذكر في الافاق الفسيحة الارجاء المونقة الافناء ذات البساتين الكثيرة والفواكه الاثيرة فيها نضارة خصب وليس في الدنيا اكثر نخلًا منها)[٣٢٠] . وفيها عدة انهار زادت على الف نهر وعشرين الف تجري فيها الزواريق ولكن منها اسم معين[٣٢١] . ووصف لنا ابن جبير الطريق الممتد من بغداد الى شمالها حيث قال : (نزلنا قرية قرب دجيل وهو نهر يتفرع من دجلة يسقي تلك القرى كلها) . ثم يصف قرية اخرى تعرف ([بالحربية) قال هي من اخصب القرى وافسحها كما قال عن تكريت بانها مدينة كبيرة واسعة الارجاء حفيلة الاسواق ،كثيرة المساجد . واشار الى ان الطريق من تكريت الى الموصل مكتظ بالقرى المنتشرة هنا وهناك[٣٢٢] .

وقال عن مدينة الموصل انها كثيرة الخصب ، عظيمة الشان شهيرة الامتناع ، لها ربض كبير فيه المساجد والحمامات والاسواق[٣٢٣] ، وفيها رباط وحوله قرى كثيرة[٣٢٤] .

واشار الايوبي[٣٢٥] الى الفلاحين والزراع وبخاصة الذين كانوا يسكنون منطقة

---

(٣١٨) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٧٢ .

(٣١٩) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٣٧ .

(٣٢٠) م . ن ص ١٨٥ .

(٣٢١) الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص ٨٠ .

(٣٢٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ص ١٨٥ — ١٨٧ .

(٣٢٣) م . ن ص ٢٣٥ .

(٣٢٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨٩ .

(٣٢٥) مضمار الحقائق ، ص ١١٥ .

نهر ملك اذ قال : « ان عاملها ابو الحسن بن الضحاك قام باجبار الفلاحين بالعمل بالسخرة ، ولما علم الخليفة الناصر لدين الله بذلك عاقبه بقطع يده وهنا تتضح امامنا المكانة الخاصة والرعاية الفائقة التي كان يوليها الخليفة الناصر لدين الله للزراع والفلاحين بوصفهم من الفئات المنتجة والتي يجب الا يستغل جهدها للغير .

وفي ضوء هذه النظرة قال ابن جبير في حق الخليفة الناصر لدين الله : (وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلًا وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له)[٣٢٦] . وكان من نتائج هذه السياسة ان رخصت الاسعار ببغداد والمدن الاخرى ، رخصاً كثيراً ، حتى بلغ ثمن الكر[٣٢٧] من الحنطة الجيدة سبعة دنانير وعشرة قراريط[٣٢٨] ودون ذلك في حين بلغ الكر من الشعير ثلاثة دنانير وبلغ ثمن الارز بواسط ثمانية قراريط وكان الخبز يباع كل خمسة وعشرين رطلًا بقيراط* الى غير ذلك من الفواكه والمنتجات الزراعية الاخرى[٣٢٩] .

٢ ـــ التجارة :

تميز الجانب الغربي من بغداد بكثرة اسواقه واتساعها ، ونشاط التجارة في هذه الاسواق التي تركزت هناك على ما يظهر منذ السنوات الاولى لقيام الدولة العباسية[٣٣٠] فعند كل ربض وسوق تجتمع اصناف التجارات والبياعات

---

(٣٢٦) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨١ .

(٣٢٧) الكرّ بالعراق وبالكوفة وبغداد ستون قفيزا وكل قفيز ثمانية مكاكيك وكل مكوك ثلاث كيالج والكيلجة وزن ستمائة درهم وبواسط والبصرة مائة وعشرون قفيزا وكل قفيز اربعة مكاكيك وكل مكوك خمسة عشر رطلًا وكل رطل مائة وثمانية وعشرون درهماً . ابن منظور ، لسان العرب ، مج ٥ ص ١٣٧ .

المكوك مكيال معروف لأهل العراق والجمع مكاكيك ومكاكي وهو ثلاث كيلجات والكيلجة منا وسبعه اثمان منا والمن رطلان والرطل اثنتا عشرة اوقية . لسان العرب . مج ١٠ ، ص ٤٩١ .

انظر : الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ص ١١ ـــ ١٢ .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ١٨ .

(٣٢٨) قراريط مفردها قيراط وهو ربع خمس مثقال والدينار عشرون قيراطاً .

الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤١ .

* القيراط ، مقابله الدرهم في زماننا هذا .

(٣٢٩) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ص ٢٦٩ .

(٣٣٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٤ .

والصناعات[٢٣١] ، وهذا لا يعني ان الجانب الشرقي يخلو من الاسواق فهناك الاسواق والمساجد وحولها الخانات التي ينزلها الحاج والمارة[٢٣٢] ومن هذه الاسواق سوق اسد ومنه الى قصر ابن هبيرة الذي يبعد عنه ٦ فراسخ[٢٣٣] ، ويمكن تحديد موقع الحي التجاري الرئيسي في الجانب الشرقي من بغداد عند باب الطاق . قال الاصطخري[٢٣٤] : (باب الطاق وهو موضع السوق الاعظم) . ومما ذكره ابن جبير عن الاسواق قال : (والشرقية حفيلة الاسواق ، عظيمة الترتيب تشتمل من الخلف على بشر لا يحصيهم الا الله تعالى .... ثم قال) (وللشرقية اربعة ابواب باب السلطان ثم باب الظفرية ثم يليه باب الحلبة ثم باب البصلية وداخل السور المحيط بها الاسواق)[٢٣٥] . وعلى الرغم من التشابه الواضح في اسواق جانبي بغداد الا انه يبدو ان اسواق الرصافة كانت اكثر تنسيقاً من اسواق الجانب الغربي[٢٣٦] . وان لبعض اسواق الجانب الشرقي من بغداد ابواباً خاصة بها مثل باب سوق الدواب وباب سوق الثلاثاء وباب سوق الغنم وغيرها[٢٣٧]

وانني اتفق مع رأي الدكتور الكبيسي[٢٣٨] حين اشار لهذه الابواب بقوله : (وربما كانت الابواب تغلق بعد الغروب عندما يتوقف البيع والشراء في مثل هذه الاسواق وان هذه الابواب انما وجدت لغرض المحافظة على ما في السوق من سلع قد تكون ذات قيمة كبيرة كما ان فكرة صنع ابواب خاصة لبعض اسواق الجانب الغربي كانت لحرص السلطة على ضرورة المحافظة على البضائع المعروضة او قد تجد الشرطة نفسها عاجزة عن تقديم الحماية لاصحاب السوق وبضائعهم) ومن المؤكد

---

(٢٣١) م . ن . ص ٢٥٣ .

(٢٣٢) ابو علي احمد بن عمر بن رسته ، الاعلاق النفيسة ، مج ٧ ، ١٨٩١ ، ص ١٦٣ .

(٢٣٣) م . ن ص ١٧٤ .

(٢٣٤) ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخري المعروف بالكرخي ، مسالك الممالك ، ١٩٢٧ ، ص ٨٣ .

انظر : مصطفى جواد واخرين ، بغداد ، ص ٥٤ .

(٢٣٥) الرحلة ، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٢٣٦) حمدان عبد المجيد الكبيسي ، اسواق بغداد ، ١٩٧٩ ، بغداد ، ص ١٠١ .

(٢٣٧) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، حـ ١ ، ص ص ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢٣٨) الكبيسي ، اسواق بغداد ، ص ص ٩٣ ـ ٩٤ .

ان جل ما كان يباع في هذه الاسواق المواد الغذائية وفي مقدمتها الحنطة والشعير والانسجة القطنية والصوفية والكتانية والحريرية والبسط والستائر . هذا فضلاً عن الحيوانات ومنتوجاتها ، ومواد الطيب والحلي النسائية والتمور واثمار الاشجار ، وقسم من هذه السلع تجلب للاسواق من مدن قريبة وقسم منها يجلب من مناطق بعيدة . ويبدو انها كانت تلاقي رواجاً كبيراً .

وكان التجار يقصدون بغداد من بقاع مختلفة جالبين معهم نفائس بلادهم وقد جاء عن احدهم انه قصد دار الخلافة زمن الخليفة الناصر لدين الله وقد جلب معه ببغاء هدية للخليفة الناصر من الهند لكنها اصبحت ميتة فجاءه فراش يطلب منه الببغاء فبكى وقال الليلة ماتت فقال له كم كان ظنك ان يعطيك الخليفة فقال خمسمائة دينار فاعطاه وذهب(٣٣٩) ويفضل بعض تجار بغداد السكن قرب دار الخلافة لان في ذلك فرصة كبرى لرواج بضاعته . ومن هؤلاء التجار ــ في سبيل المثال لا الحصر ــ التاجر ابو الجيش عسكر بن ابي تصر الحموي الذي سكن بالقرب من باب الحرم وكان ذا ثروة وتجمل ظاهر وقد توفي سنة ٦٠٦ هــ / ١٢٠٩ م ودفن عند مشهد عون ومعين(٣٤٠) .

ومما يلاحظ في زمن الخليفة الناصر لدين الله ان الاسعار تراخت جداً وامر الخليفة ببيع الغلال والحبوب على الناس ففتحت الخزائن واطلق البيع وامر ان يعطى الاجناد ارزاقهم من الحنطة والشعير والحبوب فرخصت الاسعار بذلك وكثرت الخيرات(٣٤١) .

نستنتج مما سبق ان التجارة كانت مزدهرة ونشطة بدليل كثرة الاسواق العامرة بالبضائع المصنوعة في العراق او التي تجلب من الخارج فقد وصل التجار ببضائعهم الى بلاد الشام ومصر والجزيرة وخراسان ومناطق اخرى .

٣ ــ الصناعة :

نشطت في مدن العراق صناعات متعددة ، تاتي في مقدمتها صناعة الانسجة الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية ، وفي المدن الكبرى كانت كل محلة تختص احياناً بصناعة معينة مثل محلة العتابية ببغداد كانت تصنع فيها الثياب العتابية

---

(٣٣٩) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٤٩ .

(٣٤٠) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حــ ٩ ، ص ٢٩٤ .

(٣٤١) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١١ .

وهي حرير وقطن مختلفات الالوان[٣٤٢] وصناعة النسيج الصقلاطوني من الحرير والذهب[٣٤٣] فضلاً عن صناعة الحديد والسلاسل[٣٤٤] بدليل كثرة الجسور واقامة السلاسل المعقودة عليها ، كذلك صناعة الاصباغ ودبغ الجلود وقد ذكر ابن الساعي[٣٤٥] ان ابا بكر يحيئ المعروف بأبن المرأة ونائب الشرطة بباب النوبي كان ابوه يتولى ادارة المدبغة وقد احسن التصرف فيها .

فكانت هناك صناعة (الاحذية) عمل خفاف للنساء وكان ابو منصور بن نقطة المسحر ممن برع في هذه الصنعة[٣٤٦] . وهناك الصناعات الخشبية والادوية[٣٤٧] . وقد وصف لنا ابن جبير[٣٤٨] مدينة مكة على انها ملتقى الصادر والوارد ايام موسم الحج حيث قال : (ما يباع فيها في يوم واحد من الذخائر النفيسة كالجوهر والياقوت وسائر الاحجار الكريمة ومن انواع الطيب كالمسك والكافور والعنبر والعقاقير الهندية الى غير ذلك مما يجلب من الهند و"حبشة والامتعة العراقية واليمانية) .

---

(٣٤٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨٠ والحميري ، الروض المعطار ، ص ٤٠٨ .
انظر : ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٢٢٥ / انظر : عيسى سلمان ، الاوضاع الاقتصادية ، العراق في التاريخ ، ص ص ٤٦٩ — ٤٧٠ .

(٣٤٣) جمال الدين ابي حامد المحمودي ، تكملة اكمال الاكمال ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ، بغداد ، ص ٣٠٠ .

(٣٤٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٧٢ .

(٣٤٥) الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٤٠ .

(٣٤٦) م . ن ص ٦٨ .

(٣٤٧) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٧٩ .

(٣٤٨) م . ن ص ٨٢ .

الفصل الثالث

التنظيمات العسكرية والمدنية

١ ــ التنظيمات العسكرية
أ. الجيش
ب . الفتوة
٢ ــ التنظيمات المدنية
أ. الحياة العلمية والثقافية
ب . الحياة الاجتماعية
جـ . الحياة العمرانية

١ ـــ التنظيمات العسكرية

أ ـــ الجيش

منذ سنة ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ م عمل الخلفاء العباسيون على استعادة نفوذهم العسكري والسياسي شيئاً فشيئاً ، فقد جدد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ـــ ٦٢٢ هـ/ ١١٧٩ ـــ ١٢٢٥ م) عزمه على ازاحة نفوذ السلاجقة الذين هضموا حقوق الخلفاء والرعية ، واتخذ الوسائل الناجحة لقطع دابرهم من العراق وقد تم ذلك فعلاً ـــ وهذا ما سنوضحه فيما بعد ـــ على ان الخلافة وهي تصارع السلاجقة لاسترداد امتيازاتها وحقوقها لم تغفل عن انشاء جيش نظامي لدعم سلطانها وشد ازرها .

بلغ الجيش في عهد العباسيين اقصى درجات الكمال فلقد كان الوزراء والامراء حتى الخلفاء انفسهم يعرضون جيوشهم ويتفقدونها ويتفقدون اسلحتهم ومعداتهم وخيولهم ويفحصون ملابسهم (القيافة العسكرية) فحصاً دقيقاً وكانوا يكررون العرض في الاعياد والمناسبات ، ولم يغفر الذنب لمن تقاعس في سلاحه او حسن هندامه[١] . فضلاً عن الجولات التفتيشية المستمرة بين الحين والاخر فبعد الفراغ منها ، يامرون بانشاء الحصون ، وحفر الخنادق ، وترميم المعاقل والحصون القديمة ، ونصب الجسور والقناطر على الانهر والجداول والتي تكون مواقع طبيعية تعترض خطوط التقدم .

فالجيش المنظم بالمعنى الدقيق ظهر في العصر العباسي اي ان التنظيم العسكري خطا في ظل العباسيين خطوات واسعة الى الامام[٢] .

وفي خلال حقبة التسلط السلجوقي لم يكن هناك جيش مرتبط بالخلافة بالمعنى المتعارف عليه بل كانت هناك جيوش الدويلات الاسلامية كالزنكيين والايوبيين وجيوش السلاجقة والخوارزميين وكان بعضها على درجة عالية من الضبط والنظام والتدريب بحيث فاقت جيش الخلافة[٣] .

---

(١) نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ، (بغداد ١٩٢٩) ، ص ٢٦٤ .

(٢) احمد بدر ، التنظيم العسكري عند العرب المسلمين ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٤ ، دمشق ، ١٩٨١ م ، ص ١٦٢ .

(٣) القزاز ، الحياة السياسية ، ص ١٣٨ ، ابو الفدا المختصر حـ ٣ / ١٩٣ ـــ ١٩٤ السيوطي ص ٤٦٦ الديار بكري حـ ٢ / ٤٢٠ ـــ ٤٢١ .
←

وقد اعتمد الخليفة في العصر العباسي الاخير على النفير العام عند حدوث القلاقل او الاضطرابات او تعرض الدولة لخطر ما يتطوع الناس ويجندون انفسهم دفاعاً عن الخليفة والدولة ،[٤] ومعظم هؤلاء المتطوعة هم من الجند القدماء المجاهدين الذين كانوا كما يقول ديمومبين على استعداد دائم للقيام بالغارات او المساهمة بالحملات السنوية في جميع مراكز الضعف على اطراف البلاد الاسلامية ،[٥] وتختلف واجبات الجند المتطوعة عن واجبات الجيش النظامي بعض الشيء فكانوا اما ان يجعلوا في جناحي الجيش النظامي فتكون واجباتهم الاحاطة بجناحي العدو دون ان يختلطوا بالجند النظاميين المدربين ، واما ان يوكل اليهم الاغارة على العدو قبل نشوب الحرب لازعاجه في قواعده ، وعرقلة تجمعاته وتخريب قواعد تموينه ومواصلاته[٦] . وحين يزول الخطر ينحل هذا الصنف من الجيش ويذهب المتطوعون كل الى سبيله[٧] . وهذا يفسر لنا سبب ضعف الجيش العباسي من جهة وقلة عدده من جهة اخرى وخاصة في العصر الذي نحن بصدد دراسته وذلك لقلة الاغراءات والمكاسب التي تقدمها الخلافة مقارنة بجيوش الامراء المحليين وامراء الاطراف مما ادى الى عدم رغبة المقاتلين بالانخراط في جيش الخلافة .

وقد تناول العديد من الباحثين الحديث عن فرق الجيش وصنوف الجيش ووحدات الجيش فضلًا عن اسلحة القتال الدفاعية والهجومية .[٩]

← انظر : فاروق عمر ، النظم الاسلامية ، ص ١٨٤

(٤) فاروق عمر ، النظم الاسلامية ، ص ١٨٤ .

(٥) ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ص ١٦١ .

(٦) خالد الجنابي ، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٢٣ ، رسالة ماجستير .

(٧) فاروق عمر ، النظم الاسلامية ، ص ١٨٤ .

(٨) فاروق عمر النظم الاسلامية ص ١٨٥

حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام جـ ٤ ص ٣٦٠

فيليب حتي تاريخ العرب ص ٣٩٦

البوزيكي دراسات في النظم الاسلامية ص ١٧٧ .

(٩) للمزيد من التفاصيل ينظر : احلام النقيب ، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، الفصل الثالث التنظيمات العسكرية

الجيش والحملات[١٠]

قبل مسير الجيش كان القائد يقوم في جملة ما يقوم به الاهتمام بتجهيز الجند وتنظيم الاستطلاع تم التاهب والاستعداد . وقد ذكر الراوندي ان الخليفة الناصر لدين الله لم يتخذ للحملات التي جهزها الاستعدادات الكفيلة بنجاحها اذ اختار لقيادتها وزراء اكثرهم لا خبرة لهم بفنون الحرب[١١] . وكان اخفاق هذه الحملات في تحقيق اهدافها سبباً في لجوئه الى سياسة الخديعة والاستعانة بالامراء بعضهم ضد بعض[١٢] .

ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه منع استخدام النصارى في ديوان العرض[١٣] ومن يريد ان يخدم عليه ان يدخل في الاسلام وكان هذا الاجراء من اجل مكارم الخليفة الناصر لدين الله لانه لم يسبق اليها ولم يعتمدها سواه[١٤]

وممن تولى عرض الجيش ابو غالب هبة الله بن المبارك بن قسي وقد عزل من وظيفته وولى جمال الدين ابو الحسن علي بن عبد الله عوض ابن قسي وخلع عليه ولقب ظهير الدين[١٥] وفي ديوان الجيش هذا بعض المواصفات ذكرها الخوارزمي مثل الاثبات[١٦] والزيادة[١٧] والتحويل[١٨] والجريدة[١٩] والنقل[٢٠] والوضع[٢١]

---

(١٠) مصطفى طه بدر محنة الاسلام الكبرى ص ٢٧

(١١) محمد بن علي بن سليمان الراوندي ، راحة الصدور وآية السرور ١٣٣٢ هـ ، ص ٥٣٠ .

(١٢) م . ن ص ٤٨٠ — ٤٨١

ينظر : فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ، ص ٩١

(١٣) ديوان عرض الجيش : هو الذي يتولى شؤون العساكر الخليفية وكان اذا عظم الفرق بين جنسيات العسكر استعمل لهم ديوانان للعرض .

مصطفى جواد ، مقدمة كتاب الجامع المختصر ، ابن الساعي ، حـ ٩ ، ص ض .

(١٤) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٧٤ .

(١٥) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(١٦) ان يثبت اسم الرجل في الجريدة السوداء ويفرض له رزق .

الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤٢ .

(١٧) الزيادة : ان يزاد له في جاريه شيء معلوم . مفاتيح العلوم ، ص ٤٢ .

(١٨) التحويل : ان يحول من جريدة الى جريدة . مفاتيح العلوم ، ص ٤٢ .

(١٩) الجريدة هو في الاصل السجل الذي يرجع اليه في كل شيء ويحوي اسماء الجند وانسابهم واجناسهم واوصافهم ومبالغ ارزاقهم وموعد استحقاقهم وسائر احوالهم . مفاتيح العلوم ، ص ٣٨ .

(٢٠) النقل ان ينقل بعض ماله الى جارى رجل اخر .

(٢١) الوضع ان يحلق على اسمه فيوضع عن الجريدة .

والفك[٢٢] والساقط[٢٣] والمخل[٢٤] والمتاخر[٢٥] .

اما آمر الجيش فينبغي ان يتصف بالجرأة ، والفطنة والحذر والصبر ، واقتناص المباغتة ، والكرم ، والسخاء ، والشفقة[٢٦] .

وقد ظهرت فئة كفوءة من امراء الجيش ابان خلافة الناصر لدين الله ، وقد اشار العماد الحنبلي الى استعدادات الخليفة الناصر لدين الله لاحباط نوايا التتر وردهم عن تحقيق مآربهم العدوانية ، ففي سنة ٦١٧ هـ حاول التتر الهجوم على شمال العراق فاجتمع لهم عسكر العراق والموصل واربل مما اضطرهم الى ان يعرجوا على همدان[٢٧] كما ان الخليفة الناصر امر الجميع بالاجتماع مع عساكره في دقوقا فلما علم التتر بذلك رجعوا القهقرى[٢٨] . وعمد الخليفة الى تحصين بغداد وانفاقه الاموال مما جعل التتر يتراجعون عن التقدم نحو بغداد[٢٩] .

الا ان تقدم الخليفة بالسن وتعرضه للمرض جعل العناصر غير العربية في جيشه تبرز لاسيما المماليك الذين اشتراهم الخليفة الناصر وان بعضهم نسب اليه ــ كما ذكرنا ــ .

وقد ظهرت رتب هؤلاء المماليك العسكرية وتسلسلهم الاداري كامراء الطبلخاناه وامراء العشرات الذين تحددت رتبهم وعرفت اعمالهم واعدادهم وقد بينّها القلقشندي قائلًا : (الامراء اربعة انواع ، امراء المئين وهم مقدموا الالوف ، وامراء الطبلخاناه عدة كل منهم اربعون فارساً ، وامراء العشرات عدة كل منهم عشر فوارس ، وامراء الخمسات عددهم قليل[٣٠] .

---

(٢٢) الفك هو ان يصحح اسمه ورزقه في الجريدة بعد ما وضع .

(٢٣) الساقط الذي يموت او يستغنى عنه فيوضع عن الجريدة .

(٢٤) المخل الذي اخل بمكانه ولم يوضع بعد .

(٢٥) المتاخر الذي يتاخر عن مجلس الاعطاء وقت التفرقة . الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ص ٤٢ ــ ٤٣ .

(٢٦) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٥٨ .

(٢٧) ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ص ٧٢ .

(٢٨) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٣٧ ، ابن كثير ، جـ ١٣ ، ص ٩٠ .

(٢٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٦١٩ .

ابن كثير ، جـ ١٣ ، ص ٩٠ ، الذهبي ، دول ، جـ ٢ ، ص ٩٢ .

الدياربكري ، تاريخ الخميس ، جـ ٢ ، ص ٤١١ .

(٣٠) صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ١٤ ــ ١٥ .

ب ـ الفتوة

١ ـ الفتوة لغة واصطلاحاً

الفتوة في اللغة صفة الفتى ، والفتى هو الشاب الحدث قال تعالى : « انهم فتية امنوا بربهم » . وقوله تعالى : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم »[31] ويطلق ايضاً اسم الفتوة على الصاحب والخادم[32] قال تعالى : « وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم »[33] وقوله عز وجل : « تراود فتاها عن نفسه »[34] وقال تعالى : « فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا »[35] ويطلق هذا اللفظ ايضاً على الشاب كقوله تعالى : « ودخل معه السجن فتيان » .[36]

وقد استعيرت الفتوة منذ ايام ما قبل الاسلام لترمز للشجاعة واستعير الفتى رمزاً للشجاعة قال طرفه بن العبد .

اذا القـوم قـالـوا من فتـى خِلْـتُ انني
عنيـت فلـم اكسـل ولـم اتبلـد[37]

وتاتي الفتوة ايضاً من الكرم ، قال الرازي[38] الفتى هو الشخص الكريم ، وقد روى عن عمر بن الخطاب (رض) انه كتب الى ابي موسى الاشعري قال : « اما بعد فان الخير كله في خلتين الرضا والفتوة فان لم تستطع الرضا فعليك بالفتوة وهي الصبر على المكارة الم تر الى ابراهيم عليه السلام حين صبر على كل بلية فصارت

---

(٣١) ينظر : سورة الانبياء آية ٦٠

(٣٢) أبو عبد الله محمد بن ابي المكارم المعروف بابن المعمار البغدادي الحنبلي ، الفتوة ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ١٣١ .

(٣٣) سورة يوسف ، آية ٦٢ .

(٣٤) سورة يوسف ، آية ٣٠ .

(٣٥) سورة الكهف ، آية ٦٢

(٣٦) سورة يوسف ، آية ٣٦ .

(٣٧) ابو المعمار ، الفتوة ، ص ٥ .

انظر عمر الدسوقي ، الفتوة عند العرب ، ص ١٣ .

عمر رضا كحالة ، دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية ، دمشق ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ٢٣ .

(٣٨) مختار الصحاح ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٤٩١ .

انظر : سعيد الديوه جي ، الفتوة في الاسلام ، الموصل ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م ، ص ١٢ .

نعمة وعطية صبر على القائه الى النار فصارت برداً وسلاماً وصبر على ذبح ولده ففدى بذبح عظيم[٣٩] فالفتوة تعاضد واخوة وصدق ومروة وهي شرع من النبوة فليست باكل الحرام وارتكاب الاثام بل عبادة الرحمن ومخالفة الشيطان وترك العداوات والعمل بالقرآن.[٤٠]

٢ ـ حقيقة الفتوة واصلها ونشوءها :

الفتوة خصلة من خصال الدين ، وصفة مكملة للعارفين الذين يعملون بالقسطاس المستقيم فهي من الدين بمنزلة الاسلام من الايمان عند قوم وبمنزلة العدالة من الدين فكل فتى متدين وليس كل متدين فتى[٤١]

اما مبدأ الفتوة واصلها ومنشؤها فابراهيم الخليل ، خليل الله الرحمن وهو ابو الفتيان حيث كسر الاصنام وتحدى المجتمع الذي رأى ضرورة حرقه بالنار فتولى الله انقاذه فقال : « يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم »[٤٢] ولم تزل الفتوة تتصل بالانبياء والصديقين حتى وصلت الى نبينا عليه الصلاة والسلام ومنه عليه السلام فتوة علي (رض)[٤٣]

وذكر ابن المعمار ، عن الشرب من الماء المملوح الذي يشار اليه في منهب الفتوة أن الماء هو اصل الحياة وقوامها قال تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي »[٤٤] . وانه يطهر من الادناس ومن حكم مزج الملح به ان الملح يصلح كل فاسد ، ويحفظ من التغيير ، فهو رمز الى دوام الحال وعدم الانتقال وان الماء عذب ، والملوحة ضد العذوبة ،

---

(٣٩) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٣٧ .

(٤٠) م . ن ص ١٥٦ .

انظر : الدسوقي ، الفتوة عند العرب ، ص ١١ .

كحالة ، دراسات اجتماعية ، ص ٢٣ .

صلاح الدين المنجد ، المنتقى من دراسات المستشرقين ، تشنر ، الفتوة والخليفة الناصر ، طـ ١ ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٨٩ .

● كتبت هذه المقالة باللغة الفرنسية ونقلها المنجد الى اللغة العربية والاستاذ تشنر هو المختص بين المستشرقين بالفتوة ومباحثه فيها ذات شان .

(٤١) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٣٩ .

(٤٢) سورة الانبياء ، آية ٦٩ .

(٤٣) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ص ١٤٠ ـ ١٤٣ .

انظر : حسن باشا ، دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، ص ١٤٦ .

(٤٤) سورة الانبياء ، آية ٣٠ .

فكانَ في الملح اشارة الى ان الفتى ينبغي ان يصبر على الباساء والضراء ، واحتمال البلاء ، ويشكر على النعماء ويتحمل الرفيق في كل رحابة وضيق[٤٥]

٣ ــ علامات الفتوة :

روي عن عائشة ان الرسول (ﷺ) قال : لفتيان امتي عشر علامات وهي :

صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، واداء الامانة ، وترك الكذب ، والرحمة لليتيم ، واعطاء السائل ، وبذل النائل ، واكثار الصنائع ، وقرى الضيف ورأسهن الحياء[٤٦] . ويحفظ من التغير ، فهو رمز الى دوام الحال وعدم الانتقال وان الماء عذب ، والملوحة ضد العذوبة ، فكان في الملح اشارة الى ان الفتى ينبغي ان يصبر على الباساء والضراء ، واحتمال البلاء ، ويشكر على النعماء ويتحمل الرفيق في كل رحابة وضيق[٤٥] .

ويروي لنا ابن المعمار[٤٧] ، ان من اهم ما يندب الفتى الى معرفة الله والايمان به ، وبملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وما جاءوا به ، ويخلص في عقيدته وعبادته ، ويحسن في ضميره ، ويحافظ على فرائض دينه وواجباته ، وينطق بالصواب ويصنع المعروف ، ويحسن قرى الضيوف ، وينشر الاحسان ، .

٤ ــ شروط الفتوة :

يشترط ابن المعمار[٤٨] في الفتى ستة شروط وهي : الذكورية ، والبلوغ ، والعقل ، والدين ، واستقامة الحال ، والاصل (المروءة) .

٥ ــ انواع الفتوة :

ونخلص مما سبق الى ان الفتوة مفهوم خُلُقي ، يتضمن جميع الخصال التي ينتظر ان يتحلى بها فتى من الفتيان . وهذه الفتوة على انواع هي :

أ ــ الفتوة الفروسية : وهذا النوع من الفتوة اشبه ما يكون بنظام الفرسان الذي ظهر في اوربا في القرون الوسطى ، وذلك لما بين الفتيان من التآخي والتكاتف

---

(٤٥) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ٥٧ .

(٤٦) م . ن ص ١١ .

انظر : الاشبيهي ، المستطرد ص ١٤٧ والتوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ٣ /

(٤٧) م . ن ص ٢٥٦ .

انظر : فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة ، ص ٩٢ .

(٤٨) الفتوة ، ص ١٦٣ .

ومساعدة المرأة والضعيف ، وانصاف المظلوم ، والضرب على يد الظالم ، والمتسابق الى كل فضيلة ومكرمة ولهذا سميت بالفتوة الفروسية.[49]

ب ــ الفتوة اللاهية (فتوة العيارين) : نشأت في نهاية القرن الثاني للهجرة وتدين بالشطارة والعيارة فكانت تروع الاهالي مما دعا الى تسميتهم بالعيارين[50] وكان لها اتباع اكثرهم من المتمردين على المجتمع والدولة ومن عامة الناس[51] .

جـ ــ الفتوة الصوفية : اقتبس المتصوفة فكرة الفتوة وادخلوها في تعاليمهم الاخلاقية وجعلوها مثلهم الاعلى في الحياة وكانوا يريدون بها مكارم الاخلاق واستمرت الفتوة الصوفية على ايثارها ومكارم اخلاقها[52] .

د ــ الفتوة المجونية : اطلق هذا اللفظ في القرن الاول الهجري وما بعده على الشباب المياسير الذين يميلون الى الشرب والسماع واللهو[53] .

هـ ــ فتوة المترفين : فتوة اصحاب الثراء والجاه والسلطة وكان مظهر هذه الفتوة الخروج الى الصيد واجادة الرمي والافتتان فيه وتاليف جماعة من المهرة في الصيد وكان لها تقاليد خاصة وزيّ معين[54]

٦ ــ رتب الفتوة :

لأهل الفتوة مراسم خاصة حيث تجمع فئة منهم في مجلس خاص وتُلبس الشخص الجديد الذي يراد ادخاله الى الفتوة لباسها الخاص[55] ويتم عادة تناول

---

(٤٩) الديوه جي ، الفتوة في الاسلام ، ص ١٨ .

انظر : بومزار فوزيه ، مفهوم الفروسية في التراث العربي واثره في فروسية القرون الوسطى في اوربا ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ص ٤٨ و ٦٧ ــ ٦٨ .

(٥٠) نشنر ، فتوة الخليفة الناصر ، ص ١٩٠ .

انظر : بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٣٧٩ .

(٥١) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٥ .

(٥٢) م . ن انظر : الديوه جي ، الفتوة في الاسلام ، ص ٢٦ .

(٥٣) الديوه جي ، الفتوة في الاسلام ، ص ٢٧ .

(٥٤) الدسوقي ، الفتوة عند العرب ، ص ٢٣٤ .

(٥٥) الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ص ٣٥٩ و ٣٦٢ .

انظر : حسين امين ، تاريخ العراق ، ص ١٧٢ .

لباس الفتوة هو سراويل الفتوة بمثابة الكشافة عند المعاصرين .

ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، هامش ص ٥ .

وقيل ان رسول الله (ﷺ) البس علي بن ابي طالب (رض) لباس الفتوة وامره ان يلبس من شـ

الماء والملح ، ويسمى بعضهم بعضاً (الفتيان) وواحدهم الفتى ، ولهم احزاب ورؤساء .

واذا احب احد الدخول في تنظيمهم ، يجتمع القوم ويقوم نقيب الفتوة الذي هو مصدر منحها والتشريف بها الى الشخص الجديد فينزع عنه اللباس الذي عليه بيد ويلبسه لباس الفتوة بيد ، والزعيم في الفتيان مثل الكفيل والضمين .

فمن تكفل بامر فئة فانه يقال هو زعيمهم ، واما رأس الحزب فانه رأس الفئة التي تحزب اي تصبح حزباً ومؤاخاتهم مستندة الى ان النبي (ص) كان قد آخى بين المهاجرين والانصار لما قدم المدينة . وكان للنقيب سلطة واسعة اذ هو الذي يصدر الاوامر والانظمة والتعليمات التي تكون لصالح الفتيان ، ويحذرهم من الامور التي لا تليق بهم . ومن خالف النقيب في شيء تهدر فتوته ، وهذا اكبر عقاب كان يخشاه الفتى .

وللفتيان نواد واماكن خاصة يقصدونها وقت فراغهم ، ويجتمعون بها ، ويتبادلون الاخوة والمحبة . كما كانت تقام لهم حفلات ورئيس النادي هو رأس الحزب[٥٦] . فكان يستقبل الشاب في نقابة الفتوة بشد خصره بفوطة او محزم والباسه لباس الفتوة (وقد سبق ذكره) ويسقيه في كاس الفتوة الماء المالح ، وهذه النقابات كانت تنشأ في المدن الكبرى ويكون لها فيها سلطان وشأن ، وكان في نفوس الفتيان حرمة خاصة لعلي بن ابي طالب صهر النبي (ﷺ) ، ورابع الخلفاء الراشدين فقد كان في نظرهم المثل الاعلى للفتى[٥٧] .

وممن اشتهر بقضاء الفتيان ابو الفاتك بن عبد الله الملقب بقاضي الفتيان وكان يسكن بباب محلة الكرخ بالجانب الغربي من بغداد ويجتمع عنده الفتيان وهو يملي عليهم اداب الفتوة لذلك الزمان ، وممن اشتهر بالفتوة اسحاق بن خلف المعروف بابن الخطيب البهراني فكان شانه شأن الفتوة ومصاحبة الشطار وايثار اصحاب

← ويقولون ان هذا اللباس انزل على النبي (ﷺ) في صندوق ويستدلون عليه بقوله تعالى : (يابني آدم قد انزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم) .

(٥٦) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ٢٢٤ .

انظر : الديوه جي ، الفتوة في الاسلام ، ص ٤٠ .

ــ مصطفى جواد ، الفتوة واطوارها ، مجلة سومر ، مج ٥ ، ص ٦٧ .

ــ كحالة ، دراسات اجتماعية ، ص ٢٥ .

(٥٧) تشنر ، فتوة الخليفة الناصر ، ص ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

الطنابير[٥٨] .

٧ ـ فتوة الخليفة الناصر لدين الله

ما كاد الخليفة الناصر لدين الله يبايع بالخلافة حتى اخذ يفكر في شؤون الامة ومصالحها . فالعالم الاسلامي كان يحتاج الى تجديد قوته واحياء همته واعادة توحيده لمقاومة الافرنج (الصليبيين) . فشمال افريقيا بأيدي بني عبد المؤمن وهم يدعون الخلافة ، والعراق كمقر للخلافة العباسية مستهدف لمطامع الدولة السلجوقية الكبرى ، فأراد ان يجدد شباب الامة بهذه الفتوة ، فهي اعظم قوة لمن يستطيع ان يستعملها وينظمها تنظيماً جديداً ويوحدها في الداخل والخارج ، ويجعل بغداد مقر السياسة في الشرق ويجمع بلاد الاسلام كما كانت في بعض العصور الماضية ومن اجل ذلك سلك السبيل المشروع في الدخول في الفتوة وتفتيه الى الشيخ الزاهد عبد الجبار البغدادي[٥٩] .

وكان انتماء الخليفة الناصر للفتوة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م وذلك ان المقربين اليه حسنوا له ان يكون (فتى) واحضروا له رجلًا يعرف بـ عبد الجبار بن يوسف بن صالح وله اتباع كثيرون ومعه ولده شمس الدين فقرر الاجتماع ببستان مقابل قصر التاج ثم حضر عبد الجبار وأبنه الاخر علي وصهره يوسف القصاب وبعض المقربين من الخليفة وألبس عبد الجبار الخليفة سراويل الفتوة واخبره انه لبسها من شيخ ثم وثم ... الى علي بن ابي طالب[٦٠] .

ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه امر سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م بان يعمر صومعة للشيخ عبد الجبار ـ متقدم الفتيان ـ تحت بغداد يكون دائرها سور ، فعمرت وانتقل اليها الشيخ المذكور ، وكثر تردد الخليفة اليه والحديث عن الفتوة ،

---

(٥٨) كحالة ، دراسات اجتماعية ، ص ٢٤ .

(٥٩) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص ٦٥ .

انظر : كحالة ، دراسات ، ص ص ٢٨ ــ ٢٩ .

ــ فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ، ص ٩٢ .

ــ مصطفى جواد ، الفتوة واطوارها واثرها في توحيد العرب والمسلمين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٥ ، بغداد ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ، ص ص ٦٣ ــ ٦٤ .

(٦٠) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٤٣ .

انظر : ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٢٣ .

الذهبي ، العبر ، حـ ٤ ، ص ٢٣٢ .

ومعرفة الفتيان وكان الناس يمضون اليه ويزورونه ويخدمونه ويتقربون اليه لاجل الخليفة[٦١] . كما ان الخليفة كثر حديثه عن الفتوة ، وحسن الامر عنده ، ولم يبق احد ممن كان قريباً منه الا ولبس سراويلا . وتقدم الخليفة الى ابن علي بن الدوامي ان يكون نقيب الجماعة وان يخطب ويذكر شروط الفتوة واحوالها ، وكان ابن الدوامي رجلًا فاضلًا تدل افعاله على مكارم اخلاقه[٦٢] .

ويروي ابن الاثير[٦٣] ان الخليفة الناصر لدين الله التزم بشعارات الفتوة ومراسمها وعمل على تزعمها وتعميمها . ويبدو ان هذا بعضاً من وجوه الاصلاح التي احدثها بنفسه .

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان قول المؤرخ المعاصر للخليفة الناصر لم يكن استهزاء بسيرة هذا الخليفة العظيم كما ادعى احد الباحثين (مصطفى جواد) وانما اراد ان يبين بان على خليفة الامة الاسلامية ان يهتم بأمور اكثر اهمية من الفتوة كاهتمامه ببناء جيش قوي متين مثلًا والانفاق عليه خاصة وان عصر الخليفة الناصر كان مليئاً بحوادث جسيمة حيث كانت غزوات الفرنجة على اشدها ، والمسلمون جميعاً مجندين لصد هذه الغزوات .

الا انني ارى ان محاولة الخليفة الناصر هذه كانت اخر مظهر من مظاهر البطولة العربية الاسلامية وكان يرمي من وراء ذلك تعبئة الشعب لمجابهة تلك الامور الجسام التي كانت تستهدف الدولة فالغرض من اعماله هذه كان بعث روح الحماسة في نفوس الناس ومن حوله من الحاشية وذوي المناصب الكبيرة في الدولة وقد حاول ايجاد فئة قوية يمكن الاعتماد عليها بجانب الجيش النظامي للمشاركة الفعلية في القتال ، وبخاصة ان شعار الفتوة دائماً هو التضحية والجهاد فضلًا عن اقرار الامن وحفظ النظام .

ويبدو من خلال الروايات التي اوردها ابن الاثير المؤرخ المعاصر للخليفة الناصر لدين الله ، انه مجحف بحقه فرأيه مخالف لرأي ابن الطقطقي[٦٤] حين قال (ولبس لباس الفتوة وألبسه وتفتى له خلق كثيرون في شرق الارض وغربها ورمى

---

(٦١) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٧٧ .

(٦٢) م . ن ص ٨٦ .

(٦٣) الكامل ، حـ ١٢ ، ص ٤٤٠ .

(٦٤) الفخري ، ص ٣٢٢ .

بالبندق[٦٥] ورمى له ناس كثيرون فكان باقعة زمانه ورجل عصره .)

وقد ذكر لنا مصطفى جواد ان الخليفة الناصر لدين الله اصبح صياداً ماهراً كما انه اتقن الرماية اتقاناً عالياً ، وبذلك تمكن ان يصطاد انواعاً واعداداً كثيرة[٦٦] .

وقد ذكر ابن الساعي[٦٧] انه في سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧ م اهدرت الفتوة القديمة وجعل الخليفة الناصر لدين الله القبلة في ذلك والمرجع اليه فيه وقد انتسب هو في فتوته هذه الى عبد الجبار بن يوسف وكان شيخاً متزهداً فدخل في ذلك الناس كافة من الخاص والعام ، وسال ملوك الاطراف الفتوة ، فنفذ اليهم الرسل ومن البسهم سراويلات الفتوة بطريق الوكالة وانتشر ذلك ببغداد وتفتى الاصاغر والاكابر . ونتيجة لهذا النظام استطاع الخليفة الناصر ان يخلق له جنوداً يعتمد عليهم كل الاعتماد في ادارة دولته ، قال ابن جبير[٦٨] : (ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والاحابش المجابيب منهم فتى اسمه ـ خالص ـ وهو قائد العسكرية كلها ابصرناه خارجاً في احد الايام وبين يديه وخلفه الاجناد و ...)

وقد وردت رسل الخليفة الناصر لدين الله الى ملوك الاطراف يحثهم ان يشربوا له كاس الفتوة ، ويلبسوا له سراويلها ، وان ينتسبوا اليه في رمي البندق ، ويجعلوه قدوتهم فيه فاجابه الناس بالعراق وغيره الا انساناً واحداً يقال له ابن السفت من بغداد هرب الى الشام فارسل الخليفة يرغبه بالمال ليرمي عنه فرفض[٦٩] .

---

(٦٥) البندق : كرات تصنع من الطين والحجارة او الرصاص او غيرها وكانت ترمى عن الاقواس كما يرمون النبال حيث شكلوا فرقاً من الجند ترمي بها واعدوا ذلك من قبيل الفتوة ويغلب على رماة البندق ان يشتغلوا بتطير الحمام ولهم زي خاص سميت سراويل الفتوة .

زيدان ، تاريخ التمدن ، حـ ٥ ، ص ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٦٦) ان جملة ما اصطاده الخليفة الناصر لدين الله من الطيور وانواعها بلغ عدده ما يقارب (١٤٤٥) طائراً وهي (٤٤٥ كركياً و ٧٣٤ أوزة و ٢١ ـ لغلغاً وهو غير اللقلق و ١٠ عقبان و ٢٨ مرزماً و ٢١ كيا اي بجعا و ١١٤ غرنوقاً و ٤ تموم وعنازان و ٦٦ شبيطراً او سبيطراً وهو اللقلق) وهذه عشرة اصناف من اربعة عشر صنفاً هي اصناف طير الفتوة اي الطير الجليل ويسمى طير الواجب ايضاً .

مصطفى جواد ، مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٦٧) الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

(٦٨) الرحلة ، ص ١٨١ .

(٦٩) ابن الاثير ، الكامل ، حـ ١٢ ، ص ٤٤٠ .

ومِمن لبس سراويل الفتوة وانصاع لنهج الخليفة الناصر لدين الله الملك العادل ابو بكر محمد بن ايوب ملك مصر والشام يومئذ ، وابناؤه الملك الكامل محمد ، والملك المعظم عيسى ، والملك الاشرف موسى ، والملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب ملك حماة ، والملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو السلجوقي ملك بلاد الروم (بلاد الاناضول) وشهاب الدين الغوري ملك الغور (افغانستان) والملك الظاهر[٧٠] غازي بن صلاح الدين الايوبي ملك حلب ، وملك شيراز سعد بن زنكي ، وصاحب جزيرة كيش في الخليج العربي وغيرهم[٧١] ويبدو ان الخليفة الناصر لدين الله كان قد اعتقد اعتقاداً عميقاً بنظام الفتوة لذلك التزم بمراسيمها حتى كان يبعث الى الاقاليم ان لا يدعي احد من الرماة الا له ولا يلبس احد سراويل الا له[٧٢] .

٨ ــ آراء المؤرخين :ــ

ان افراط الخليفة الناصر في هذا الاتجاه هو الذي حمل ابن الاثير (المؤرخ

← انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

ابن ابي عذيبة ، انسان العيون ، ورقة ٣ .

القلقشندي ، مآثر الانافة ، حـ ٢ ، ص ٦٠ . ابو الفدا ، المختصر ، حـ ٣ ، ص ١٣٦ . المقريزي ، السلوك ، حـ ١ ، ق ١ ، ص ١٧٢ . الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، القاهرة ١٩٥٥ م ، هامش ص ص ٧٧ ــ ٧٨ . ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ص ١١٣ .

(٧٠) عندما انعمت الخلافة على الملك العادل واولاده بلباس الفتوة اسرع الملك الظاهر صاحب حلب يلتمس في رسالة كتبها الى الخليفة الناصر لباس الفتوة .

ضياء الدين ابن الاثير ، رسائل ابن الاثير ، تحقيق انيس المقدسي ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٣٥ ملحق رسالة الظاهر غازي .

(٧١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ٢٦١ .

انظر : كحالة ، دراسات ، ص ٢٩ .

الديوه جي ، الفتوة ، ص ٤٨ .

(٧٢) ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١٠٩ .

انظر : الصفدي ، نكت الهميان ، ص ٩٣ .

الذهبي ، دول الاسلام ، حـ ٢ ، ص ١٢٧ .

الذهبي ، العبر ، حـ ٥ ، ص ص ٨٧ ــ ٨٨ .

العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، حـ ٥ ، ص ص ٩٧ ــ ٩٨ .

المعاصر لحقبة الخليفة) يدعي ان انشغال الخليفة بهذه الامور صرفه عن الاهتمام بامور الدولة .

واخال ان هذا الزعم يجافي الحقيقة ، ذلك ان اندفاع الناصر نحو الفتوة والتقيد بمراسيمها شكل حركة احياء وتجديد في الدولة وليس العكس .

ثم ان الحكاية التي اوردها ابن الساعي[٧٣] والتي تظهر مغالاة الخليفة الناصر لدين الله بنظام الفتوة لم أجد ما يؤيدها في مصادر اخرى سوى ابن تغرى بردى الذي نقل هذه الحكاية[٧٤] عن ابن الساعي فاين ابن ظهير الدين الكازروني من هذه الحكاية الواهية ، واين ابن الطقطقي ، وسبط ابن الجوزي ، وابن دحية ، وابن الدبيثي ، وابن خلكان ، وابو شامة ، وابن العبري ، واين ايضاً ابن الاثير الذي يقال عنه انه كان مجحفاً بحق الخليفة الناصر ، أين هم كلهم من هذا الزعم الذي لم اجد له اية اشارة او تلميح في المصادر الاخرى ؟

ومهما يكن لابد لنا ان نشير الى ان هذه المصادر وغيرها ذكرت ان الخليفة الناصر لدين الله قد اصابه فالج (الشلل) وعجز عن الحركة بالكلية في السنوات الثلاث الاخيرة من عمره فضلًا عن كونه فقد احدى عينيه واخذ يبصر بالاخرى بصراً ضعيفاً كما انه تقدم في السن بحيث قارب السبعين من عمره فكيف بخليفة عظيم كالناصر لدين الله اراد ان يجعل من الفتوة فئة قوية يمكنها ان تشارك مشاركة فاعلة مع الجيش النظامي في القتال واستخدمها في ادارة شؤون الدولة ، ويهتم بأمور ثانوية في وقت كاد العالم الاسلامي يموج بين الهجمة المغولية من جهة الشرق والغزو الفرنجي من الغرب واطماع الدول والدويلات في الخلافة العباسية .

ان المؤرخين لا يذكرون سبب تبني الناصر لدين الله نظام الفتوة ، وكذلك فان كتب الفتوة لا تفصح عن شيء من هذا ، غير ان ابن خلدون[٧٥] بين رايه في سياسية الخليفة الناصر ، رغم انه كان بعيداً عن العصر واحواله ، ويراها لهواً وطيشاً وعد ذلك

← الديار بكرى ، تاريخ الخميس ، مج ١ – ٢ ، ص ٣٦٧ .

ابن خلدون ، العبر ، مج ٣ ، ق ١ ، ص ١١٠٢ .

(٧٣) مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١٠٩ .

(٧٤) حكى عن الخليفة الناصر لدين الله انه لما ملكت التتار البلاد دخل عليه الوزير فاخبره بذلك فقال الخليفة (دعني انا في شيء اهم من هذا طيرتي البلقاء لي ثلاثة ايام ما رأيتها) . ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١٠٩ .

(٧٥) العبر ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ١١٠٢ .

من بوادر ضعف الخلافة العباسية ومن الاسباب التي مهدت إلى سقوطها . في حين ذكر مصطفى جواد[٧٦] ان احياء الناصر للفتوة كان الغرض منه القضاء على التعصب المذهبي والتناحر الذي كان يظهر بين الفينة والاخرى . اما فاروق عمر[٧٧] فقد ذكر ان دافع الخليفة هو بث روح جديدة ، وعزيمة فتية في نفوس الشباب والقادة من العرب والمسلمين من خلال انخراطهم في هذا التنظيم الذي تبناه الخليفة وقاد مسيرته . وكان يرمي من وراء ذلك مجابهة المخاطر التي باتت تهدد الدين والدولة ، ويرى القزاز[٧٨] ان محاولة الخليفة هذه ما هي الا نوع من زيادة الصلة والترابط مع امراء الاطراف . وانني ارى ان هدف الخليفة الناصر من احيائه نظام الفتوة هو تعبئة الشعب لمجابهة تلك الامور الجسام التي باتت تهدد الدولة .

وعلى كل حال فقد انتشرت الفتوة في بلاد الاناضول منذ ايام الخليفة الناصر لدين الله[٧٩] .

ويمكننا ان نتلمس متانة نظام الفتوة الذي ارسى اسسه الخليفة الناصر لدين الله . ان هذا النظام استمر بالقوة والاندفاع نفسهما بعد وفاة الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م اذ اتبع الخلفاء العباسيون الذين جاءوا بعده اثره في العناية بالفتوة والقيام برسومها ورعاية الفتيان في البلاد الاسلامية على اختلافهم في الحماسة لها[٨٠] .

ويرى تشنر[٨١] ان سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م أدى الى زوال الفتوة واندثار معالمها شيئاً فشيئاً . ولكن هذا النظام انتقل الى طائفة اخرى من المسلمين هم المماليك في مصر[٨٢] .

---

(٧٦) مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص ص ٤٩ ــ ٥٠ .

(٧٧) الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة ، ص ٩٢ .

(٧٨) الحياة السياسية في العراق ، ص ٢٧٢ .

(٧٩) مصطفى جواد ، الفتوة واطوارها ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٥ ، ص ٧٤ .

انظر : كحالة ، دراسات ، ص ص ٣٠ ــ ٣٩ .

(٨٠) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب الفتوة لابن المعمار ، ص ٧٩ .

انظر : الدسوقي ، الفتوة عند العرب ، ص ٢٤٨ .

كحالة ، دراسات ، ص ٣٠ .

مصطفى جواد ، الفتوة واطوارها ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٥ ، ص ٧٠ .

(٨١) فتوة الخليفة الناصر ، ص ٢٠٠ .

(٨٢) الدسوقي ، الفتوة ، ص ٢٥٢ .

يتضح لنا مما سبق ان الفتوة نظام اجتماعي عربي اسلامي قديم ، يعتمد على ما تعتمد عليه الفروسية من اداب وصفات ، اهمها الشباب ، والقوة ، والوفاء بالعهد ، واداء الامانة ، وترك الكذب ، والرحمة لليتيم . اذ ورد لها ذكر في الحديث النبوي الشريف ، وظل هذا الاتجاه متبعاً خلال الحقب التاريخية التي مرت بها الدولة العربية الاسلامية ، حيث كان يقوى حيناً ويشتد ازره ، ويضعف او يترك حيناً آخر الى ان عمل على احيائه الخليفة الناصر لدين الله . وكان للفتوة شروط وعلامات يقبل على اساسها من يرغب الدخول فيها وهناك ملابس خاصة للفتيان وشرب كأس الفتوة (الماء المملح) . وللفتوة رتب معينة كرئيس الحزب ، والنقيب والزعيم . ولهم اماكن خاصة يجتمعون فيها اشبه بالنوادي[٨٣] .

٢ ـ التنظيمات المدنية

أ ـ الحياة العلمية والثقافية :

يعد عصر الخليفة الناصر لدين الله عصر ازدهار العلوم والمعارف العربية الاسلامية في مجالاتها وجوانبها المتعددة فضلًا عن اهتمام الخليفة بالنواحي الجسيمة للافراد .

ونستطيع ان نتلمس بدايات مظاهر الحركة الثقافية في عصر الناصر لدين الله في كثرة المدارس والربط فهي معاهد علمية ، عقلية ، وروحية معاً فضلًا عن كثرة دور الكتب وخزائنها والتاليف باختلاف موضوعاتها ونبوغ الشعراء والكتاب والادباء والمؤرخين والمحدثين والفقهاء وارباب الفنون والعلماء والفلاسفة والمدرسين والمهندسين والاطباء[٨٤] .

وكان الخليفة الناصر قد جعل للشعراء ديواناً خاصاً في الدولة يسمى (ديوان الشعراء) وسمى الشعراء المثبتة اسماؤهم فيه (شعراء الديوان) اي ديوان الدولة العباسية[٨٥] فالشعراء الذين نبغوا واشتهروا في عصر الخليفة الناصر لدين الله هم سبط بن التعاويذي[٨٦] صاحب الديوان المطبوع الحافل بالشعر البالغ قمة الكمال

---

(٨٣) انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ٣ ، ص ٣٠٦ .

ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥ .

(٨٤) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب نساء الخلفاء ، لابن الساعي ، ص ٨

(٨٥) م . ن ص ٩ .

(٨٦) سبق وان وضحناه في الفصل الاول :

من حيث الصناعة الشعرية . والابله البغدادي صاحب الديوان المشتمل على فنون المدح والغزل ، وابن المعلم الواسطي الهرثي[٨٧] الشاعر الرقيق الذي شرقت قصائده وغربت ، وابن الدنينير المنذري الموصلي صاحب الديوان الرائع ، وعبد المنعم لمصري النسطروني الذي خدم الخليفة الناصر لدين الله وكان سفيراً بينه وبين الامراء التابعين له ، وعبد الواحد بن عبد الرحمن ابن منصور المصري الطائي ، وابو الامانة جبريل بن صارم المصري القادم من مصر الى العراق للسكنى فيها ، والبار الاشهب علوي بن عبيد الله الحلي ، والامير ابن مقرب العيوني ، ورشيد الدين عبد الرحيم النابلسي ، وبهاء الدين علي بن محمد بن رستم بن الساعاتي ، وراجح بن اسماعيل الحلي ، وعلي بن بطريق الحلي ، واحمد بن جعفر الواسطي ، وكمال الدين علي ابن النبيه الذي مدح الخليفة الناصر لدين الله[٨٨] ، والحسن بن محمد بن عبدوس ابو علي الواسطي سكن بغداد وقرأ الادب على مصدق بن شبيب وكتب الصحاح بخطه (ومدح الخليفة الناصر لدين الله بقصائد وصار من شعراء الديوان المختصين بالانشاد في التهاني والتعازي) وكان فاضلًا قيماً بالادب حسَن المعاني جميل الهيئة طيب الاخلاق متودداً ظريفاً مات سنة ٦٠١ هـ وقد جاوز الاربعين بقليل[٨٩] . والشاعر التلعفري والشاعر ابن دهن الحصى[٩٠] فضلًا عن اعداد اخرى من الشعراء والادباء الذين ظهروا على عهد الخليفة الناصر لدين الله .

← انظر : ابن ابي عذيبه ، انسان العيون ، ورقة ١٩٦ ــ ١٩٨ .

ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ص ١٠٥ ــ ١٠٦ .

جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، جـ ٣ ، ص ص ٢٣ ــ ٢٤ .

(٨٧) وهو منسوب الى قرية هرث على نهر جعفر جنوب واسط .

الحموي ، حـ ٤ ، ص ص ٩٥٩ ــ ٩٦٠ .

انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ ٦ ، ص ١٤٠ .

جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، جـ ٣ ، ص ٢٤ .

(٨٨) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب نساء الخلفاء ، ابن الساعي ، ص ٩ .

(٨٩) السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، طـ ١ ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ، جـ ١ ، ص ٥٢٣ .

(٩٠) هو الحسن بن هبة بن دهن الحصى الموصلي من ادباء الموصل المتصدرين للامراء توفي سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م .

انظر : ابن سعيد ابي الحسن بن علي بن موسى الاندلسي ، الفصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق الابْياري ، مصر ، ص ص ٦٥ و ٨١ .

وهذا يعطينا صورة واضحة عن اوضاع العامة والخاصة في بغداد والى درجة الصفاء الفكري وبالتالي حالة الانتعاش التي عاشوها وما اثمرت عنه من نتاج علمي وادبي .

اما العلماء في مجال العلوم الاخرى فقد ظهرت كثرتهم في عصر الخليفة الناصر لدين الله فمنهم العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي مؤلف كتاب (الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) ، قال القفطي مترجماً احد علماء بغداد العظماء وهو ابو الرشيد مبشر بن احمد بن علي بن احمد بن عمر الرازي الاصل البغدادي المولد والدار الملقب بالبرهان كان اوحد زمانه ، فاضلًا كثير المعرفة بالحساب وخواص الاعداد والجبر والمقابلة وعلم الهندسة والهيئة وقسمة التركات وقد قربه الخليفة الناصر منه واعتمده في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي ، وبالمدرسة النظامية ، وبداره المسناة . وكان مقرباً الى اولياء الدولة محبباً عندهم[91] . وظهير الدين كامل بن الفتح بن ثابت الملقب بظهير الدين البارزي المتوفى في بغداد سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م كان اديباً وشاعراً يكتب الطلبة عنه من شعره وترسله وكان يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويخلو معه وكان يعلمه علم الاوائل وهو عليه الشرائع[92] . وكذلك كمال الدين الانباري وهو من علماء اللغة تفقه في المدرسة النظامية وله مؤلفات عديدة منها نزهة الالباء في طبقات الادباء ، وابو البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م الملقب بـ محب الدين وكان من اشهر علماء اللغة في عصره ومن مؤلفاته التبيان[93] . ومنهم ايضاً الحكيم عبد السلام بن جنكي دوست الجيلي ، قرأ علوم الاوائل فأجادها واشتهر بها[94] .

وممن اشتهر في عصر الناصر من المؤرخين عز الدين علي بن الاثير ، وجمال الدين محمد ابن سعيد بن الدبيثي الواسطي ، ومحمد بن احمد القطيعي ، ويحيى بن القاسم التكريتي ، وعمر بن دحية الكلبي ، ومحمد بن احمد القادسي ، وقثم بن طلحة[95] العباسي الزينبي ، ومحب الدين محمد بن محمود بن النجار ، وابو

---

(٩١) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ص ٢٦٩ .

انظر : مصطفى جواد ، مجلة سومر ، حـ ٢ ، تموز ١٩٤٥ ، ص ٧٣ .

(٩٢) دائرة المعارف ، البستاني ، مج ١١ ، ص ٤١٨ .

(٩٣) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، حـ ٣ ، ص ص ٤٣ ــ ٤٤ .

(٩٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ص ٤١٤ ــ ٤١٥ .

(٩٥) هو ابو الحسن الزينبي ابو القاسم يعرف بابن الاتقى وقد لقب اباه طلحة تولى قثم نقابة ←

شجاع محمد بن علي بن الدهان ، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، واسعد بن مماتي المصري ، وبهاء الدين يوسف بن شداد الموصلي ، وابو افرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، وعبيد الله بن نصر بن المارستاني ، وياقوت الحموي ، والحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي ، وعبد الله بن حنظلة البغدادي ، وابو عبد الله محمد بن صفي الدين الملقب عماد الدين الاصبهاني له مؤلفات عديدة منها الفتح القسي في الفتح القدسي ، وابن جبير المتوفى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م وكان من اهل المنزلة العالية في العلم والادب والشعر قام بثلاث رحلات اولها سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م وانتهت سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م حيث زار بغداد فيها ايام الخليفة الناصر لدين الله . وكذلك السائح الهروي[٩٦] المتوفى سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م[٩٧] فضلاً عن الحكماء ، والاطباء ، والفقهاء ، والقضاة ، واهل الفن وغيرهم من ارباب الثقافة العقلية والثقافة النقلية[٩٨] .

ويبدو ان عهد الخليفة الناصر لدين الله ، كان عصر ازدهار وتعظيم لاهل العلم والادب والفن . فكان الامراء يترددون على دور الكتب والمعاهد العلمية للانتفاع من هذه العلوم .

اما بالنسبة للمدارس فقد حفلت بغداد منذ اواسط القرن الخامس الهجري بعدد كبير من المعاهد والمدارس الكبرى القائمة بذاتها ، والمنفصلة عن الجوامع . وقد ذكر ابن جبير في رحلته عندما زار بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م فقال :

← العباسيين مرتين اولهما في ايام المستضيء بأمر الله في سنة ٥٦٦ هـ ثم عزل والثانية في سنة ٥٨٣ هـ في ايام الخليفة الناصر لدين الله ثم تولى حجابة باب النوبي سنة ٦٠٠ هـ فوقعت الفتنة ببغداد بين اهل باب الازج والمامونية فركب ليسكت الفتنة وبيده حربة وحمل على الطائفتين وتداركه الشحنة حتى سكنت الفتنة الا انه عيب عليه هذا العمل فعزل في رمضان سنة ٦٠١ هـ ولم يستخدم بعد ذلك .

الحموي ، معجم الادباء ، حـ ٦ ، ص ٣٠٣ .

(٩٦) منسوب الى هراة ، وهو ابو الحسن علي بن ابي بكر بن علي الهروي الاصل ، الموصلي المولد .

جرجي زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، حـ ٣ ، ص ٩٤ .

(٩٧) مصطفى جواد ، مقدمة كتاب نساء الخلفاء ، ابن الساعي ، ص ص ١١ ــ ١٢ . زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، حـ ٣ ، ص ص ٩٧ و ٩٤ .

(٩٨) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ص ٤١٦ و ٤١٩ ــ ٤٢٠ .

(والمدارس بها نحو الثلاثين ، وهي كلها بالشرقية ، وما منها مدرسة الا وهي يقصر القصر البديع عنها واعظمها واشهرها النظامية . ولهذه المدارس اوقاف عظيمة ، وعقارات محبسة ، تتصير الى الفقهاء والمدرسين بها ، ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم . ولهذه البلاد في امر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد[99] . وقد ذكر ابن الاثير[100] في حوادث سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م ان الخليفة الناصر لدين الله امر بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ببغداد ، ونقل اليها من الكتب النفيسة الوفا لاتوجد مثلها . وقال ابن القفطي[101] في ترجمة مبشر بن احمد الرازي « واعتمد عليه الناصر في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبدار المسناة » وقال سبط ابن الجوزي[102] في ترجمة الخليفة الناصر لدين الله : (وفيها بنى الخليفة دار الكتب بالمدرسة النظامية ونقل اليها عشرة الاف مجلدة ورتب بالرباط عشرة من الصوفية وكان الخليفة يتردد كل يوم على الرباط المذكور . وقد اشرف على دار الكتب بالمدرسة النظامية ابو جعفر عمر بن ابي بكر بن عبيد الله الدباس ، وكان رجلًا فاضلًا ذا فضل وافر ومعرفة بالادب وعلم الكلام ، وظل مشرفاً على دار الكتب الى ان مات سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م[103] ومن الذين درّسوا بالمدرسة النظامية أبو الحسن المعروف بالكيبا الهراسي[104] وكذلك ابو طالب الكرخي بن أبي البركات المعروف بـ المبارك بن المبارك تولى التدريس بمدرسة كمال الدين ابي الفتوح بباب العامة بعد وفاة شيخه ثم تولى التدريس بالنظامية واضيف اليه التقدم بالرباط المجاور

---

(٩٩) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨٣ .

(١٠٠) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٢ ، ص ١٠٤ حوادث سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م .

انظر سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٤٢١ حوادث سنة ٥٨٩ هـ .

(١٠١) تاريخ الحكماء ، ص ٢٦٩ .

(١٠٢) مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ .

انظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ٦ ، ص ١٣٢ .

مصطفى جواد ، دار المسناة الناصرية ، مجلة كلية الاداب ، العدد ٤ لسنة ١٩٦٠ ، ص ص ٥ ـ ٣٢ .

(١٠٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، جـ ٩ ، ص ١٦٠ .

(١٠٤) زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٤٠٥ .

لتربة سلجوقه زوجة الخليفة الناصر ، وسكن الدار المجاورة للرباط ، وكان له قبول عند الخاص والعام ، وقد تولى خدمة الاميرين ابي نصر وابي الحسن علي ابني الخليفة الناصر لدين الله[١٠٥] فضلاً عن القاضي محيي الدين ابن فضلان الذي درّس بالنظامية سنة ٦١٤ هـ[١٠٦]..

ويرى احد الباحثين ان اشهر المكتبات التي خدمت الثقافة خدمة بعيدة الاثر هي خزانة الكتب التي انشأها الخليفة الناصر لدين الله ، وعرفت بنايتها بدار المسناة ، والتي تسمى في العصر الحديث بالقصر العباسي[١٠٧] . ومن مدارس بغداد ايضاً مدرسة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بالله وام الخليفة الناصر لدين الله وتعرف اليوم بمدرسة الاصحاب اي اصحاب الشافعي وتسمى مدرسة ام الخليفة ، وسميت بالمدرسة الغربية ايضاً لوقوعها في الجانب الغربي من بغداد ، وتوصف ايضاً (بالميمونة) بنتها زمرد خاتون الشافعية بالجانب الغربي عند مشهد معروف الكرخي بجوار تربتها ، وكان افتتاح المدرسة في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م . وكان ببغداد فضلاً عن هذه المدارس مدرستان اخريان يظهر ان التدريس قد تعطل فيهما في اواخر القرن السادس الهجري قبل مجيء ابن جبير الى بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وهما[١٠٨] مدرسة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وكانت للحنابلة ، ومدرسة ابن اشمل للحنابلة ايضاً .

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان الخليفة الناصر لدين الله اراد ان يشتغل برواية الحديث واستناب نواباً في الاجازة والتسميع واجرى عليهم جرايات وكتب للعلماء اجازات وجمع كتاباً من سبعين حديثاً سماه (روح العارفين)[١٠٩] وروى عن شيوخه

---

(١٠٥) الحموي ، معجم الادباء ، حـ ٦ ، ص ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(١٠٦) القلقشندي ، مآثر الانافة ، حـ ٣ ، ص ١٩٨ وصبح الاعشى ، حـ ١٠ ، ص ٢٨٦ .

انظر : صبح الاعشى ، حـ ١٠ ، ص ٢٩٢ ، كتاب الخليفة الناصر لابن فضلان للتدريس بالمدرسة النظامية سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م .

(١٠٧) حسين امين ، العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢٣٧ .

(١٠٨) مصطفى جواد واخرين ، بغداد ، ص ص ١٣٣ و ١٣٥ .

(١٠٩) ابن المعمار ، الفتوة ، ص ١٢٥ .

انظر : السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٥١ .

الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨١ .

بالاجازة[110] وسمع الحديث النبوي واسمعه للفقهاء،[111] وفي سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م وصل رسول الخليفة الناصر لدين الله الى الشام ومصر ومعه الكتاب الذي الفه الخليفة حيث سمع في البلاد كلها.[112] ويعد ابو العباس البندنيجي احمد بن احمد ابن كرم الحافظ من اطيب الناس قراءة للحديث وهو الذي اظهر اجازة الخليفة الناصر لدين الله من ابي الحسين عبد الحق. وقد توفي سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م[113].

ب ــ الحياة الاجتماعية

قبل ان ندخل في تفاصيل الحياة الاجتماعية يجدر بنا ان نشير هنا الى ان المجتمع الاسلامي كان يتالف عادة من الخاصة وهم اصحاب الخليفة من ذوي القربى ومن رجال الدولة البارزين كالوزراء والقواد والكتاب والقضاة والعلماء والادباء وكان لهؤلاء ــ كما اشرنا سابقاً ــ باب خاص يدخلون منه لمقابلة الخليفة اطلق عليه (باب الخاصة). اما الفئة الاخرى فهم العامة الذين يشكلون الغالبية العظمى من الناس، ولهم مرافق خاصة بهم، ولهم باب خاص عرف بـ (باب العامة). وتضم هذه الفئة اصحاب الحرف والصنائع والتجار والفلاحين والجند، وهم عادة اقل منزلة من الفئة الخاصة من حيث المستوى الثقافي والعلمي والدخل المعاشي.

سكن الخلفاء والامراء والوزراء وكبار القادة في قصور واسعة، بينها وبين دور

(١١٠) جاء في نكت الهميان للصفدي، ص ٩٣ واجاز له ابو الحسين عبد الحق اليوسفي وابو الحسن علي بن عساكر البطائحي وشهدة وجماعة، واجاز هو لجماعته من الكبار فكانوا يحدثون في حياته ويتنافسون في ذلك.

انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ص ٤٥١ ــ ٤٥٢.

(١١١) الكازروني، مختصر التاريخ، ص ٢٤٤.

ابن الدبيثي، المختصر المحتاج، حـ ١، ص ٣٧.

المقريزي، السلوك، حـ ١، ص ٢١٨.

ابن الطقطقي، الفخري، ص ٣٢٢.

(١١٢) ابن واصل، مفرج الكروب، حـ ٣، ص ٢٢٨.

ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج ٥، حـ ١، ص ١٦٧.

(١١٣) الذهبي، العبر، حـ ٥، ص ص ٥٤ ــ ٥٥.

العامة بون شاسع ، حيث امتلك الخلفاء قصوراً فخمة مزودة باثاث فاخر وكثير ، وكذلك دور الوزراء وان كانت اقل شاناً . اما دور العامة فتغلب عليها البساطة واكتفت باثاث يتناسب مع حالتهم الاجتماعية ومقدار دخلهم المتواضع ، حيث فرشت الارض بالحصر واستعملوا الوسائد والستائر واضاؤوا دورهم بالمسارج والقناديل او الشموع . ويرى عادة في بيت العامة رحى للطحين وتنور ومطبخ .[114]

اما بالنسبة للطعام فقد تفنن العباسيون وبخاصة في الحقبة التي نحن بصدد دراستها في طهيه وتصنيفه وترتيب تقديمه على موائدهم وممن الف في هذا الباب محمد بن عبد الكريم الكاتب البغدادي الذي الف كتابه (الطبيخ) في سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م حيث وصف لنا المؤلف في هذا الكتاب الطعام الشائع في عصره وما سبقه من العصور العباسية . وكان طعام الاغنياء يتالف من لحوم الحيوانات كالغنم والماعز والبقر والدجاج ويعد اساس المائدة ولهم في طهي الدجاج طرق مختلفة حسب رغبة الآكلين[115] . وهناك الوان اخرى من الاطعمة من بينها المشهيات كالسلاطة والحصرمية والمهلبية .

اما اطعمة عامة الناس فكانت تتالف من اللحم والخبز والدبس والخل والسمك ومنه المشوي والمقلي والمطبوخ ، وكان المحتسب يشرف على باعة السمك بصفة خاصة لئلا يخلطوا السمك الطازج بالسمك الفاسد ، ومن الاكلات الشائعة عند العامة ايضاً الباقلاء والهريسة وهي نوع من الحلوى تباع في الاسواق وتطبخ في البيوت فضلاً عن العصيدة والثريد المعمول من المرق واللحم مع الخبز وقد يضاف اليه الحمص ومن الاكلات (الشعبية) ، ايضاً الارز مع اكلات اخرى .[116]

وتميز الفئة الخاصة بارتدائها الملابس الرسمية التي كانت تقوم بصنعها دور الطراز حيث كانت ترتدي اثناء العمل الرسمي واتمام صلاة الجمعة وفي الاعياد والاحتفالات الرسمية . اما ملابس العامة فقد حددتها هذه الفئة نفسها . وهي في

---

(١١٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، حـ ٤ ، ص ص ٦٣٤ ـ ٦٣٥ .
انظر : حتي ، تاريخ العرب المطول ، ص ٤٠٤ .
بدري محمد فهد ، العامة في بغداد ، ص ص ١٦٥ ـ ١٧٦ .
(١١٥) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ص ٩٩ ـ ١٠٠ باب في ذكر الاغذية .
انظر : القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ ٤ ، ص ١٣ .
(١١٦) حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، حـ ٤ ، ص ص ٦٣٦ ـ ٦٣٧ .
للاستزادة انظر : بدري ، العامة في بغداد ، ص ص ٩٦ ـ ١٤٠ .

الاعم الاغلب تتاثر بمقدار ومستوى المعيشة لهؤلاء الناس . ومع ذلك فاننا نلاحظ ان ذوي الدخل المالي الجيد يعنون بملابسهم اكثر من الفقراء وامتازت ملابس الزهاد والمتصوفة بالخشونة والبساطة .

والملابس ثلاثة انواع وهي : غطاء الرأس ، ولباس البدن وملابس للارجل والقدمين فضلاً عن الحلي ، فلباس الرأس هو العمامة عادة والتي تميز الرجل وقد اخذ العرب العمامة عن آبائهم منذ ايام ما قبل الاسلام وورثها المجتمع العراقي في القرن الخامس الهجري فكان لا يجوز خلع العمامة وكشف الرأس الا في مناسك الحج . وكانت العمامة السوداء تلبس في الاحتفالات والمواسم وعند مقابلة الخليفة لان السواد كان شعار العباسيين الرسمي .

اما ملابس البدن فكانت تختلف باختلاف فئات الناس فالزهاد يلبسون الملابس الخشنة التي يغلب عليها البساطة والفقراء يلبسون الدراعة وهي نوع من الجباب وتكون عادة من الصوف ويلبس الفلاحون الملابس الغليظة المصنوعة من القطن . في حين يلبس الاغنياء الملابس الحريرية والابريسمية وهي نوع من الحرير وكان الناس يلبسون في ارجلهم الجوارب وفي اقدامهم النعال سواء كانوا صغاراً او كباراً(١١٧) .

اما بالنسبة للالعاب التي مارسها الناس ، فكان الصيد من ضروب اللهو عند الخلفاء والامراء والموسرين . فقد نظم هؤلاء رحلات خاصة مع اصحابهم للصيد وقد ربى بعض الخلفاء انواعاً من الحيوانات البرية كالاسود والنمور ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه كان من هواة الصيد والاقتناص فقد اشرنا سابقاً الى جملة من انواع الطيور التي اصطادها ولا داعي لاعادة ذكرها هنا .

اما الحمامات فهي من وسائل النظافة التي اكد عليها الاسلام ويبدو ان عددها كان كثيراً بحيث انها دهشت ابن جبير عند زيارته لبغداد عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م قائلاً : (واما حماماتها فلا تحصى عدة فهي بين الشرقية والغربية نحو الالفي حمام واكثرها مطلية بالقار مستحطة به فيخيل للناظر انه رخام اسود صقيل)(١١٨) . وهذا لا يعني ان الحمامات مقتصرة على مدينة السلام فقط بل من المؤكد انها موجودة في كل مدن العراق الرئيسة وان لم تكن بالعدد نفسه . وقد ذكر لنا ابن الطقطقي(١١٩) (ان

---

(١١٧) بدري محمد فهد ، العامة في بغداد ، ص ص ١٥٨ ــ ١٥٩ و ١٦٢ .

(١١٨) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨٢ .

انظر : حتي ، تاريخ العرب ، ص ٤٠٦ . حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ٤ ، ص ٦٠٣ .

(١١٩) الفخري ، ص ٣٢٢ . سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٥٣٤ .

الخليفة الناصر لدين الله طالت مدته وصفا له الملك واحسن مباشرة احوال الرعية بنفسه فكان يتمشى في الليل في دروب بغداد ليعرف اخبار الرعية) . ومما جاء عن الخليفة الناصر انه انشأ دور ضيافة لفطور الفقراء في شهر رمضان في كل محال بغداد شرقيها وغربيها وامر باثبات فقراء كل محلة وان يجرى على كل واحد منهم في كل يوم رطلان من الخبز وقدح طبيخ فيه نصف رطل لحم ضان فاثبت في كل مقدار خمس مائة نفس زائداً وناقصاً فعمت الفقراء والضعفاء هذه الصدقة[١٢٠]

كما ان الناصر لدين الله اكرم الحجاج بتناولهم الفطور في شهر رمضان في الدار الذي اقامه[١٢١] وامتد احسانه على اهل الحرمين وكانت الكعبة الشريفة تكسى بالديباج الاسود[١٢٢] وقد امدنا الخزرجي بمعلومات قيمة عن التقاليد والحفلات التي كانت تقام ببغداد في موسم الحج . فسبيل[١٢٣] الخليفة الناصر لدين الله يشتمل على مائة جمل وسبيل ام الخليفة الناصر يشتمل على ثمانين جملاً ،[١٢٤] وكان الخلفاء يعينون اميراً للحاج[١٢٥] ويختار عادة من الاشراف الطالبين ويقام احتفال في دار الخلافة حيث تخلع الخلع على امير الحج . وعلى سبيل المثال الامير اقباش مملوك الخليفة الناصر لدين الله وسمى الامير اقباش عبد الله الناصري نسبة الى الخليفة الناصر لدين الله وقد قربه الخليفة وولاه امرة الحاج والحرمين فحج بالعراقيين سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ولكنه قتل في السنة نفسها بيد اشراف مكة عندما خرج ليصلح بينهم[١٢٦] .

وقد اشار الايوبي في احداث سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م الى ان الخليفة الناصر لدين الله طلب نقض السفينة الخاصة التي تقف ازاء قصر التاج لترقب من يموت ليحمل بها فامر بنقضها فنقضت وكان قد غرم عليها اموالا عظيمة وكانت من

---

(١٢٠) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٢٩ .

(١٢١) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، حـ ٩ ، ص ٢٥٨ .

انظر : الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٥ .

الاربلي ، خلاصة الذهب ، ص ٢٨١ .

(١٢٢) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، حـ ٣ ، ص ٣٧٩ .

(١٢٣) يراد به ان ينيب شخص اخر ليحج عنه نظير اجر معين والسبيل ايضاً السقاية .

(١٢٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، حـ ٤ ، ص ٦٥٠ .

(١٢٥) انظر : حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، حـ ١ ، ص ٢٠٢ .

(١٢٦) الذهبي ، العبر ، حـ ٥ ص ٦٤ .

احسن السفن المستعملة وكان اذا ورد الى بغداد سلطان واراد الحضور الى دار الخلافة لا يركب الى قصر التاج الا فيها .[١٢٧]

جـ ــ الجانب العمراني

من احسن شواهد التاريخ هو ما تركه كل جيل من الاثار فان انواق الناس وطبائعهم وعواطفهم واحتياجاتهم فضلاً عن المعتقدات والتقاليد تنصهر كلها ليتالف منها ما يسمى روح العصر ، فالاثر الفني اذن هو عنوان مادي لخيال العصر الذي وضع فيه ويدل دلالة واضحة على احوال الزمن الذي ابدعت فيه اذا وجد من يعرف قيمتها .

فمن اثار العصر الذي تصديت لدراسته (عصر الخليفة الناصر لدين الله) القصر العباسي (دار المسناة) الذي لا تزال آثاره شاخصة في القلعة ببغداد ، فقد شرع الخليفة الناصر ببنائه سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م في موضع يعرف بدار تتر احد امراء السلطان مسعود بن محمد ملكشاه السلجوقي[١٢٨] على شاطيء دجلة وهي اول دار شرع الخليفة في عمارتها للتنزه والترويح عن النفس وهي اول دار فرشت طوابيق ملونة ازرق واحمر وسائر الالوان وكان الخليفة كثير الملازمة لها والحضور فيها وهي من الدور المستحسنة وقد انفق عليها الخليفة اموالاً جمة وقد نقل اليها فرشاً كثيرة وآنية من ذهب وفضة ورتب فيها جماعة من المماليك والخدم لحفظها وحراستها وجعل لها حرمة قاطعة كحرمة قصر التاج بحيث لا يقدر احد ان يبعد عنها ولا يدنو منها الا ان كان سائراً في سفينة[١٢٩] . ولما دخل ابن جبير بغداد سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م رأى الخليفة الناصر لدين الله صاعداً الى دار المسناة حيث قال : (ابصرنا هذا الخليفة وهو ابو العباس احمد الناصر لدين الله بن المستضيء بنور الله .... بالجانب الغربي امام منظرته وقد انحدر عنها صاعداً في الزورق الى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط)[١٣٠] .

---

(١٢٧) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٥٩ .

(١٢٨) مصطفى جواد ، القصر العباسي ، مجلة سومر ، حـ ٢ ، تموز ١٩٤٥ ، ص ص ١٠١ ــ ١٠٢ .

(١٢٩) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ٨٨ .

(١٣٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٨١ .

انظر : محمد رضا الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن الفوطي ، حـ ٢ ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م ، ص ص ١٤٨ و ٢٩ .

←

وقد اتخذت دار المسناة الناصرية بعد سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م رباطاً اي تكية صوفية مما يدل على انها لم تكن على شاكلة الدور التي اتخذها الخلفاء لسكناهم وجواريهم وخدمهم وحاشيتهم وذلك مما سهل جعلها رباطاً(١٣١) . ومما جاء عن الخليفة الناصر لدين الله انه تقدم بعمارة دار الفلك(١٣٢) وكان الفلك رجلاً ضريراً قد مات ايام الخليفة المستضيء بأمر الله ولم يكن له وارث الا بيت المال فامر الخليفة الناصر بعمارة داره ونقل اليه من الفرش والانية جميع ما تحتاج اليه هذه الدار وزخرفت بالذهب والفضة ورتب فيها محمد بن يحيى الفراش فراشاً ومعه جماعة من الفراشين حتى قيل بانه لم يعمر داراً مثلها(١٣٣) . كما تقدم الخليفة الى استاذ الدار بان يعمر له داراً في ناحية حسناباد(١٣٤) من معاملة نهر ملك فجمع اليها جماعة من الصناع وحشد اليها ارباب الصنائع ففرغت في مدة يسيرة(١٣٥) . كما عمر الخليفة الناصر قصر الاحمرية في نواحي بغداد في اقصى كورة الخالص من الجانب الشرقي(١٣٦) وقد بنى الخليفة الناصر لدين الله جامع القمرية وهو ثاني اقدم جامعين باقيين ببغداد بعد جامع الخفافين وشرع ببنائه واتمه الخليفة المستنصر بالله والحقت به دار للقرآن واخرى للحديث(١٣٧) ومن ابنية الخليفة الناصر ايضاً منارة تربة

← مصطفى جواد واخرين ، بغداد ، ص ٥٢ .

(١٣١) مصطفى جواد ، دار المسناة الناصرية ، مجلة كلية الاداب ، العدد ٤ / ١٩٦١ ، ص ١١ .

انظر : الكازروني ، مختصر التاريخ ، ص ٢٤٦ .

(١٣٢) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ١ ، ص ٤٠١ .

(١٣٣) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٧٥ .

(١٣٤) حسناباذ : من قرى اصفهان خرج منها طائفة من اهل العلم منهم ابو مسلم حبيب بن وكيع بن عبد الرزاق بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن محمد بن سليمان الحسناباذي الاصفهاني وهي ايضاً بلدة بكرمان بينها وبين السيرجان ثلاثة ايام .

الحموي ، حـ ٢ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(١٣٥) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٧٨ .

(١٣٦) العمري ، غاية المرام ، ص ٤٦ .

(١٣٧) عبد الرحمن عبد الله السويدي البغدادي ، تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٤٦ .

انظر : مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية القائمة في بغداد ، مجلة سومر ، مج ٣ ، حـ ١ ، ١٩٤٧ ، ص ٥٠ .

الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد وقد كتب على حوضها (بنيت هذه المنارة سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) وهي السنة التي توفي فيها ابن الخليفة الناصر الملك االمعظم ابو الحسن علي[١٣٨] وقام الخليفة الناصر بعمارة تربة والده المستضيء المجاورة لجامع فخر الدولة وتولى عمارتها ابن الصاحب استاذ الدار ونقل تابوته اليها[١٣٩] . وفي سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م قامت ام الخليفة الناصر بتعمير مسجد بمشرعة السقائين على شاطيء دجلة بمشرعة الحطابين وانفقت عليه اموالًا كثيرة وقد عرف بمسجد الحظائر وهو معروف اليوم بجامع الخفافين جنوب المدرسة المستنصرية[١٤٠] وهو وان كان من ابنية ام الخليفة الا انه يعد في عداد ابنيته التي انشئت في عهده . كما قامت ام الخليفة الناصر (زمرد خاتون) بعمارة مشهد لرجل يقال له الشيخ على الهيتي ورباطاً وعملت له قبة عجيبة البناء[١٤١] . وفضلًا عن ذلك عمدت ام الخليفة الى بناء تربتها قبل سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م والقبة المخروطية او الهرمية التي تكون خاصة بمشاهد الائمة والكبار في زمن العباسيين[١٤٢] . اما باب الظفرية وهو احد ابواب سعد بغداد الشرقية الجنوبية فيرجح احد الباحثين ان بناءه للخليفة الناصر لدين الله[١٤٣] . اما باب المعظم وهو الباب الشمالي لبغداد القديمة فكان احد ابواب السور الذي بدأ بانشائه الخليفة العباسي المستظهر بالله واتمه المسترشد بالله سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م فقد جدده الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م وسمي بباب السلطان نسبة الى السلاطين السلجوقية الذين اقاموا دار سلطنتهم في شماله[١٤٤] وامر الخليفة الناصر بانشاء شباك في السامرة (خارج دولته) بين الضفة والسرداب المقدس عام ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م وكان

---

(١٣٨) مصطفى جواد واخرين ، بغداد ، ص ٥٣ .

(١٣٩) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، حـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٦٠ .

(١٤٠) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٧٨ .

انظر : مصطفى جواد وآخرون ، بغداد ، ص ٥٢ .

(١٤١) الايوبي ، مضمار الحقائق ، ص ١٧٨ .

(١٤٢) مصطفى جواد ، العمارات الاسلامية ، مجلة سومر ، مج ٣ ، حـ ١ ، ١٩٤٧ ص ص ٣٩ ـ ٤٠ .

(١٤٣) مصطفى جواد واخرين ، بغداد ، ص ٥٢ .

(١٤٤) السويدي ، تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، ص ١١١ .

للشباك مصراع من خشب الساج كان موجوداً في سنة ١٣٢٥ هـ وكان مثبتاً بشكل جيد وجميل ويعد من نفائس صناعة النجارة ومع مرور حقب زمنية كثيرة عليه الا انه لا يزال يزهو كالجوهرة وقد كتبت عليه العبارات الاتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم قل لا أسالكم عليه اجراً الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان الله غفور شكور » هذا ما أمر بعمله الامام المفترض طاعته على جميع الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله الذي طبق البلاد احسانه وعدله وغمر البلاد بره وفضله قرن الله اوامره بالنجح والنشر وجنوده بالتاييد والنصر جعل لايامه المخلدة حداً لا يكبو جواده ولرايته الممجدة سعداً لا يخبو زناده في عز تخضع له الاقدار فيدليعه عواصيها وملك تخشع له الملوك فتملكه نواصيها[١٤٥] .

ان هذه الاعمال العمرانية التي قام بانشائها الخليفة الناصر لدين الله او انشاها بعض افراد حاشيته تدل دلالة اكيدة على نشاط وانتعاش الحركة العمرانية ابان خلافته .

---

(١٤٥) عباس قمي ، تتمة المنتهى ، ص ٣٦٨ .

المصادر والمراجع

[القرآن الكريم]

اولاً ـــ كتب عربية مخطوطة :

١) الالوسي ت ١٣٤٢ هـ .
أخبار بغداد وما جاورها من البلاد .
معهد المخطوطات العربي ـــ القاهرة

٢) ابن تيمية الحراني النميري ت ٧٢٨ هـ .
مسائل في الفتوة ، مخطوطة بمكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ـــ جامعة بغداد .

٣) الحسيني من القرن ٧ هـ .
أخبار الدولة السلجوقية او زبدة التواريخ في اخبار الامراء والملوك السلجوقية ، موسكو .

٤) الحموي ت ٦٤٤ هـ .
التاريخ المنصوري ، موسكو .

٥) الخطبي
ارجوزة نظم في الخلفاء والسلاطين العباسيين ، مكتبة المجمع العلمي العراقي .

٦) ابن الدبيثي ت ٦٣٧ هـ .
التاريخ المذيل به على تاريخ بغداد للسمعاني نسخة مصورة عن نسخة باريس مكتبة الدراسات العليا ، مكتبة الاداب ، جامعة بغداد .

٧) ابن ابي عذيبة ت ٨٥٦ هـ .
انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب .

٨) الكازروني ت ٦٩٧ هـ
مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب .

٩) إبن النجار ت ٦٤٣ هـ .
تاريخ ابن النجار ، مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب .

ثانياً ـــ كتب أصيلة :

١٠) ابن الاثير ت ٦٣٠ هـ .
الباهر ، القاهرة .

الكامل ، بيروت ١٩٦٦ م .
١١) ابن الاثير ت ٦٣٧ هـ .
الوسائل ، بيروت ١٩٥٩ م .
١٢) الاربلي ت ٧١٧ هـ .
خلاصة الذهب المسبوك مختصر في سير الملوك ، بغداد ـ ١٩٦٤ م .
١٣) ابن الازرق ت ٨٩٦ هـ .
بدائع السلك في طبائع الملك ـ العراق ، ١٩٧٧ م ،
١٤) الاسنوي ت ٧٧٢ هـ .
طبقات الشافعية ، بغداد ـ ١٩٧١ م .
١٥) الاصطخري ت ٣٤١ هـ .
المسالك والممالك ليدن ١٩٣٧ م
١٦) الايوبي ت ٦١٧ هـ .
مضمار الحقائق وسر الخلائق القاهرة ١٩٦٨ م
١٧) ابن بطوطة ت ٧٧٩ هـ .
الرحلة بيروت ـ ١٩٦٤ م
١٨) ابن بعرة الكاملي
كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، القاهرة ـ ١٩٦٦ م
١٩) الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ .
تاريخ بغداد او مدينة السلام بيروت
٢٠) البلاذري ت ٢٧٩ هـ
فتوح البلدان بيروت ١٩٧٨ م
٢١) البنداري ت ٦٤٢ هـ
ـ سنا البرق الشامي ، بيروت ـ ١٩٧١ م
ـ مختصر تاريخ دولة آل سلجوق بيروت ١٩٨٠ م
٢٢) ابن تغري بردي ت ٨٧٤ هـ
النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية .
٢٣) التنوخي ت ٣٨٤ هـ
نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، ١٩٧١ م
٢٤) ابو حيان التوحيدي ت ٣٨٧ هـ
الامتاع والمؤانسة بيروت

٢٥) ابن جبير ت ٦١٤ هـ
الرحلة ، بغداد ١٩٣٧ م
٢٦) ابن الجوزي ت ٥٩٧ هـ
المصباح المضيء بغداد ١٩٧٦ / المنتظم حيدر آباد ١٣٥٩ هـ .
٢٧) الحموي ت ٦٢٦ هـ
ارشاد الاريب مصر ١٩٣٠ م / معجم البلدان بيروت ١٩٧٧ م .
٢٨) الحميري / الروض المعطار بيروت ١٩٧٥ م
٢٩) ابن خرداذبة / المسالك والممالك بريل ١٨٨٩ م
٣٠) ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ
العبر بيروت ١٩٧٧ م / المقدمة ، بيروت ـ ١٩٧٠ م
٣١) ابن خلكان ت ٦٨١ هـ
وفيات الاعيان بيروت
٣٢) الخوارزمي ت ٣٨٧ هـ مفاتيح العلوم القاهرة ـ ١٩٢٥ م .
٣٣) ابن الدبيثي ت ٦٣٧ هـ
المختصر المحتاج اليه ـ بغداد
٣٤) ابن دحية ت ٦٣٣ هـ
النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس بغداد ١٩٤٦ م
٣٥) الدياربكري تاريخ الخميس بيروت
٣٦) الذهبي ت ٧٤٨ هـ
دول الاسلام مصر ١٩٧٤ م
العبر في خبر من غبر الكويت ١٩٦٣ م
٣٧) الرازي ت ٦٦٦ هـ
مختار الصحاح لبنان ١٩٨١ .
٣٨) الراوندي ت ٦٠٣ هـ
راحة الصدور القاهرة ١٩٦٠ م
٣٩) ابن رجب ت ٧٩٥ هـ
ـ الاستخراج لاحكام الخراج القاهرة ١٩٣٤ م .
ـ الذيل على طبقات الحنايلة القاهرة ١٩٥٣ م
٤٠) ابن رسته ت ٣١٠ هـ
الاعلاق النفيسة ليدن ١٨٩١ م

٤١) الروحي؛ بلغة الظرفاء مصر ١٩٠٩ م
٤٢ ابن الساعي ت ٦٧٤ هـ
ـ الجامع المختصر بغداد ـ ١٩٣٤ م
ـ مختصر اخبار الخلفاء مصر ١٣٠٩ هـ
ـ نساء الخلفاء مصر
٤٣) سبط ابن الجوزي ت ٦٥٤ هـ
مرآة الزمان حيدر آباد الدكن ١٩٥٢ م
٤٤) السبكي ت ٧٧١ هـ
طبقات الشافعية الكبرى ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ١٩٦٧ م
٤٥) ابن سعد : الطبقات بيروت ١٩٦٠ م
٤٦) ابن سعيد الاندلسي ت ٦٨٥ هـ
الفصون اليانعة مصر
٤٧) ابن سلام ت ٢٢٤ هـ
كتاب الاموال ، دمشق ، ١٩٣٠ م .
٤٨) السويدي ت ١٧٨٥ م
تاريخ حوادث بغداد والبصرة بغداد ١٩٧٨ م
٤٩) السيوطي ت ٩١١ هـ
ـ بغية الوعاة القاهرة ١٩٦٤ م
ـ تاريخ الخلفاء القاهرة ١٩٦٤ م
ـ حسن المحاضرة القاهرة ١٩٦٨ م
٥٠) ابن شاكر الكتبي ت ٧٦٤ هـ
فوات الوفيات مصر ـ ١٩٥١ م
٥١) الصفدي ت ٧٦٤ هـ
الوافي بالوفيات استانبول ١٩٤٩
٥٢) الصولي ت ٣٣٥ هـ
اخبار الراضي بالله والمستضيء لله (كتاب الاوراق) القاهرة ١٩٣٥ م
٥٣) ابن الطقطقي ت ٧٠٩ هـ
الفخري بيروت ١٩٦٦ م
٥٤) ابن عبد الحق ت ٧٣٩ هـ
مراصد الاطلاع ، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٤ م .

٥٥) ابن العبري ت ٦٨٥ هـ
تاريخ مختصر الدول بيروت ١٨٩٠ م
٥٦) العصامي المكي ت ١٠٤٩ هـ
سمط النجوم العوالي القاهرة
٥٧) العماد الحنبلي ت ١٠٨٩ هـ
شذرات الذهب بيروت ١٣٥١ هـ
٥٨) العماد الكاتب ت ٥٩٧ هـ
الفتح القسي في الفتح القدسي ليدن ١٨٨٧ م
٥٩) العمراني ت ٥٨٠ هـ
الانباء في تاريخ الخلفاء لايدن ١٩٧٣ م
٦٠) العمري : غاية المرام ، بغداد ـ ١٩٦٨
٦١) ابو الندا ت ٧٣٢ هـ
ـ تقويم البلدان باريس ١٨٤٠ م
ـ المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية .
٦٢) ابن الفرات ت ٨٠٧ هـ
تاريخ ابن الفرات ـ بصرة العراق ، ١٩٦٩ م و ١٩٧٠ م
٦٣) القرماني ت ١٠١٩ هـ
أخبار الدول وآثار الاول في التاريخ بيروت ١٩٧٨ م
٦٤) القزويني ت ٦٨٢ هـ
اثار البلاد واخبار العباد بيروت ١٩٦٠ م
٦٥) القفطي ت ٦٤٦ هـ
تاريخ الحكماء برلين ١٩٠٣ م
٦٦) القلقشندي ت ٨٢١ هـ
ـ صبح الاعشى مصر
ـ مآثر الانافة ، الكويت ـ ١٩٦٤ م
٦٧) الكازروني ت ٦٩٧ هـ
مختصر التاريخ بغداد ١٩٧٠ م
٦٨) ابن كثير ت ٧٧٤ هـ
البداية والنهاية بيروت ١٩٦٦ م
٦٩) الماوردي ت ٤٥٠ هـ

ـ الاحكام السلطانية القاهرة ـ ١٩٦٦ م
ـ الوزارة مصر ١٩٧٦ م
٧٠) مسكويه ت ٤٢١ هـ
تجارب الامم القاهرة ـ ١٩١٤ م
٧) ابن المعمار ت ٦٤٢ هـ
الفتوة بغداد ١٩٥٨ م
٧٢) المقدسي ت ٣٧٨ هـ
أحسن التقاسيم ليدن ١٩٠٦ م
٧٣) ابن المقرب البحراني ت ٦٣١ هـ
ديوان ابن المقرب ، مصر ١٩٦٣ م
٧٤) المقريزي ت ٨٤٥ هـ
ـ الخطط بغداد / ـ الذهب المسبوك القاهرة ـ ١٩٥٥ م
ـ السلوك لمعرفة دول الملوك القاهرة ١٩٣٤ .
٧٥) ابن منظور ت ٧١١ هـ
لسان العرب بيروت ١٩٥٥
٧٦) النسوي سيرة السلطان جلال الدين ، القاهرة ـ ١٩٥٣
٧٧) النويري ت ٧٣٢ هـ
نهاية الارب القاهرة ١٩٢٩ م
٧٨) ابن واصل ت ٦٩٧ هـ
مفرج الكروب ، القاهرة
٧٩) ابن وكيع ت ٣٠٦ هـ
أخبار القضاة القاهرة ١٩٥٠ م
٨٠) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١ م
٨١) ابو يوسف ت ١٨٢ هـ
كتاب الخراج القاهرة ١٣٥٢ هـ

ثالثاً ـ مراجع حديثة

اعتمد البحث على مجموعة كبيرة منها يمكن الرجوع الى تفاصيلها في الاطروحة ص ٢٥٩ ـ ٢٦٦ ومن ابرزها :

٨٢) امين ، حسين

تاريخ العراق في العصر السلجوقي بغداد ــ ١٩٦٥ م
٨٣) الباشا ، حسن
ــ الالقاب الاسلامية القاهرة ــ ١٩٥٧ م
ــ دراسات في تاريخ الدولة العباسية القاهرة ١٩٧٥ م
ــ الفنون الاسلامية القاهرة ــ ١٩٦٦ .
٨٤) جواد، مصطفى
سيدات البلاط العباسي لبنان ١٩٥٠ م
٨٥) جواد، مصطفى وآخرون
بغداد . مؤسسة كولبنكيان ــ ١٩٦٩
٨٦) حسن، حسن ابراهيم
تاريخ الاسلام السياسي القاهرة ١٩٦٧ م
٨٧) الدسوقي عمر
الفتوة عند العرب ، مصر
٨٨) الدوري عبد العزيز
النظم الاسلامية بغداد ــ ١٩٥٠
٨٩) الديوه جي سعيد
الفتوة في الاسلام مصر ١٩٤٠ م .
٩٠) الرحموني محمد الشريف
نظام الشرطة في الاسلام ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣ م
٩١) الريس محمد ضياء الدين
الخراج والنظم الاسلامية القاهرة
٩٢) الصالح صبحي
النظم الاسلامية نشأتها وتطورها بيروت ١٩٦٥ م
٩٣) فهد، بدري محمد
ــ تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير بغداد ١٩٧٣
ــ العامة ببغداد ، بغداد ١٩٦٧ م
٩٤ فوزي، فاروق عمر
ــ الخلافة العباسية في عصورها المتاخرة الشارقة ١٩٨٣ م
ــ النظم الاسلامية الشارقة ــ العين ١٩٨٣ .
٩٥) القزاز محمد صالح

الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير النجف ١٩٧٦
٩٦) الكبيسي حمدان عبد المجيد
اسواق بغداد ، بغداد ١٩٧٩

رابعاً ــ الدوريات

٩٧) البكري مهاب درويش
الدينار العباسي في المتحف العراقي / مجلة المسكوكات العدد ٧ / ١٩٧٦
٩٨) جواد، مصطفى
دار المسناة الناصرية مجلة كلية الاداب / بغداد العدد ٤ / ١٩٦١ .
٩٩) جواد، مصطفى
ــ عمارات القرن السادس الفخمة في دار الخلافة العباسية ، مجلة سومر مج٢ /١٩٤٦م
ــ الفتوة واطوارها واثرها ، مجلة المجمع العلمي العراقي مج٥ / ١٩٥٨ م
١٠٠) الحسيني محمد باقر
الكنى والالقاب على نقود مدينة السلام / مجلة المسكوكات العددان ١٠ ــ ١١ / ١٩٧٩ / ١٩٨٠
١٠١) الكبيسي حمدان عبد المجيد
الوزارة، مجلة المؤرخ العربي العدد ٢٩ / ١٩٨٦ م

خامساً ــ الرسائل العلمية الجامعية غير المنشورة

١٠٢) جاسم، عطا سلمان
لنظر في المظالم في الخلافة العربية الاسلامية / رسالة ماجستير اداب / بغداد ١٩٨٥
١٠٣) الجنابي خالد جاسم
تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني / رسالة ماجستير/ اداب بغداد ١٩٧١
١٠٤) الدجيلي خولة شاكر محمد
بيت المال نشاته وتطوره / رسالة ماجستير / اداب / بغداد ١٩٧٤
١٠٥) صالح، خولة عيسى محمد
نشاة البريد وتطوره. رسالة ماجستير / اداب بغداد ١٩٨٥

١٠٦) المعاضيدي عبد القادر سلمان
واسط في العصر العباسي / رسالة دكتوراه / اداب بغداد ١٩٨٠

سادساً ــ الكتب المعربة :

١٠٧) بروكلمان،كارل
تاريخ الشعوب الاسلامية بيروت ١٩٦٥ م
١٠٨) ديمومبين،موريس غي
النظم الاسلامية بغداد ــ ١٩٥٢ م
١٠٩) لسترنج،غي
ــ بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ١٩٣٦ م
ــ بلدان الخلافة الشرقية بغداد ١٩٥٤ م
١١٠) لوبون،غوستاف
حضارة العرب القاهرة ــ ١٩٦٤ م
١١١) متز،آدم
الحضارة الاسلامية في القرن ٤ الهجري القاهرة ــ ١٩٥٧ .

فضلًا عن كتب ترجمت للبحث عن الفارسية وكتب أجنبية اخرى وللمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى اطروحة سياسة الخليفة الناصر لدين الله العباسي قائمة المصادر والمراجع .

المحتويات

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة

وزارة الثقافة والاعلام

الغلاف : جنان عدنان

دار الشؤون الثقافية العامة

السعر : ١٠٠٠ دينار

بغداد ٢٠٠٠

طبع في دار الشؤون الثقافية العامة ـ (شركة عامة)